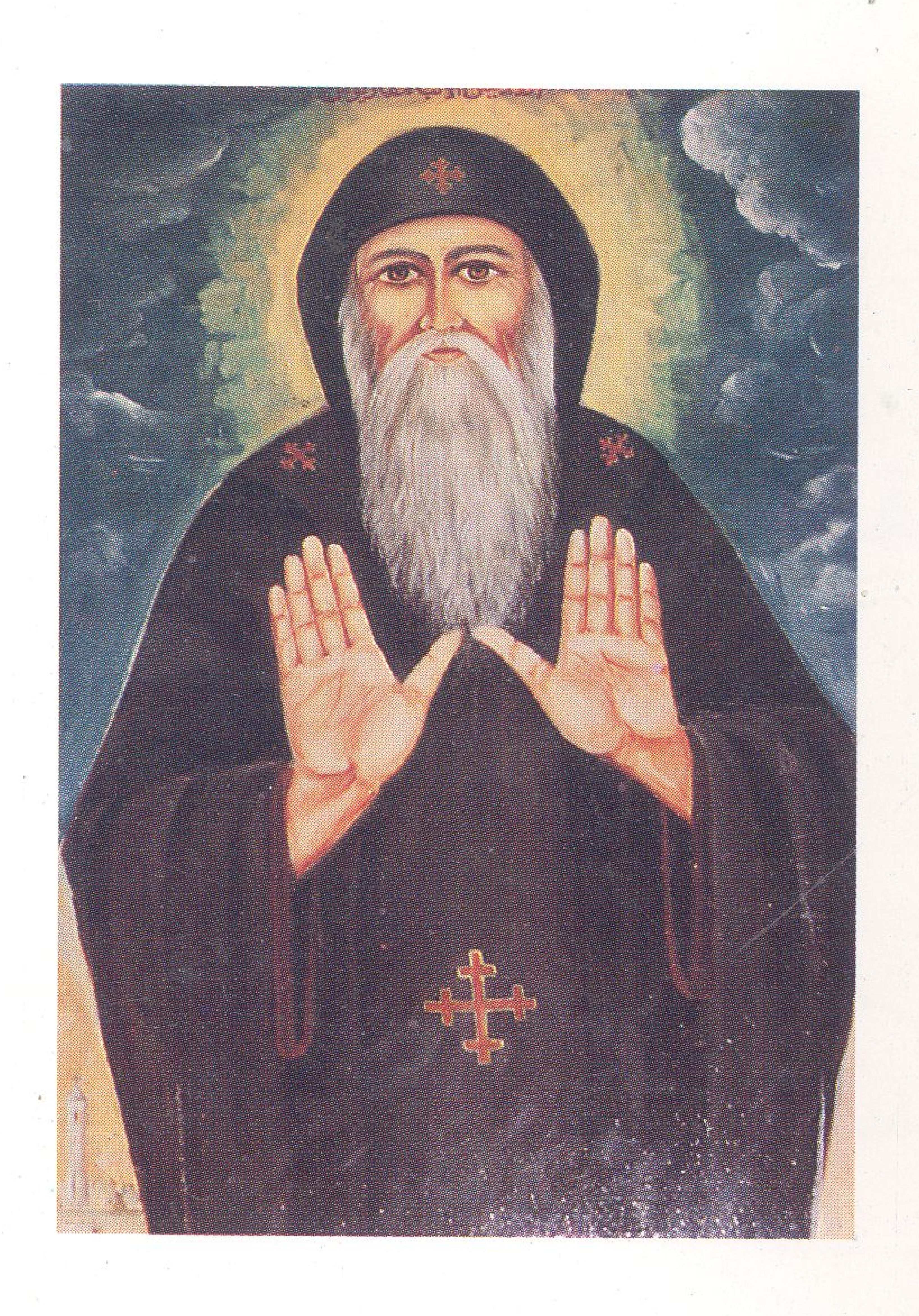
دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

سيرة القديس أنبا مقار الكبير



الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

سـيرة

القديس أنبا مقار الكبير

الأب متى المسكين

كتاب: سيرة القديس أنبا مقار الكبير.
(مستخرج من كتاب: الرهبنة القبطية —
الطبعة الثانية ١٩٨٤ — ص ٥٥ — ١٦٧).
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ١٩٨٩.
مطبعة دير القديس أنبا مقار — وادي النطرون.
ص. ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٧٠٧٣ / ٨٩.
رقم الإيداع الدولي: ٤ — ٠٨٦ — ٤٤٨ — ٩٧٧.
جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

المحتويات

	صفحة
مقدمـــة:	
القديس أنبا مقار والشهادة للمسيح	٥
الفصل الأول:	
نشأة القديس مقاريوس	١٠
الفصل الثاني:	
اعتزاله العالم	٢١
الفصل الثالث:	
زيارة أنبا مقاره للأب الكبير أنبا أنطونيوس	٢٨
الفصل الرابع:	
علاقة القديس مقاره الوطيدة بنتريا والقلالي	
وزيارته للقديس باخوميوس الكبير	٣٢
الفصل الخامس:	
شخصية القديس وصفاته	٣٩
الفصل السادس:	
الحياة التقشفية للقديس مقاره	٤٦

الفصل السابع:

محبة القديس للصلاة والوحدة ٥٢

الفصل الثامن:

نبوّات ورؤى القديس مقاره ٥٩

الفصل التاسع:

تسلُّط القديس مقاره على الشيطان والأرواح الشريرة ٦١

الفصل العاشر:

القديس مقاره رجل معجزات ٦٧

الفصل الحادي عشر:

ڤالنس الوالي يضطهد رهبان مصر
وينفي المقارَيْن القدّيسَيْن ٧٥

الفصل الثاني عشر:

خطاب أنبا مقار الأخير ونياحته ٨٤

خاتمة وتعليق:

القديس مقاريوس شخصية زاخرة
بعناصر إنسانية ينبغي أن يُقتدى بها ٩٨

الفصل الثالث عشر:

كتابات القديس أنبا مقار الكبير ١٠٥

الفصل الرابع عشر:

الذكصولوجيات أي التماجيد الخاصة بالقديس أنبا مقار ١١٣

القديس أنبا مقار والشهادة للمسيح(١)

الكنيسة الأرثوذكسية تضعُ القديسين في موضع هام جداً من إيمانها وتركّز بشدة واهتمام على دورهم الخطير في بناء التراث الروحي للشعب.

والقديسون إما شهداء ماتوا وكان موتهم شهادة للإيمان بالمسيح، وإما عُبَّاد عاشوا وكانت حياتهم شهادة أيضاً للإيمان بالمسيح. أي في كلا الحالين نجد أن القديسين شهود للإيمان بالمسيح سواء بموتهم أو بحياتهم.

الشهادة للمسيح هي أعلى عمل يمكن أن يقوم به إنسان مؤمن بالمسيح، والشهادة للمسيح هي أصلاً عمل الروح القدس «روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (يو١٥: ٢٦و٢٧)، لذلك يستحيل على أي إنسان أن يشهد للمسيح إلاَّ إذا كان على مستوى الروح القدس أي يكون ممتلئاً من الروح القدس فكراً وعملاً.

المسيح أرسل الروح القدس من عند الآب يوم الخمسين فبدأت الشهادة للمسيح منذ تلك اللحظة ولم تتوقف حتى هذه الساعة، بدأت بالرسل والتلاميذ ثم استمرت على مستوى الآباء القديسين في الكنيسة، سواء الذين حملوا نير الشهادة بالخدمة الرعائية من بطاركة وأساقفة أو الذين آثروا خدمة الرب بحياتهم وأعمالهم يوماً بعد يوم.

وهكذا يتضح لنا أن تدبير الروح القدس في تقديم الشهادة للمسيح لم يتوقف قط على

---

(١) كلمة أُلقيت ليلة الإحتفال بذكرى عودة جسد القديس أنبا مقار إلى ديره بشيهيت، وذلك بكنيسة القديس بالدير — منتصف ليلة ٢٤/ ٢٥ أغسطس سنة ١٩٧٣م الموافق ١٨/ ١٩ مسرى سنة ١٦٨٩ش.

طول الزمن، فكما شهد التلاميذ الأوائل الإثنا عشر للمسيح الذي مات أمام عيونهم وقام تحت أبصارهم هكذا ظلت الشهادة للمسيح بواسطة القديسين في كل زمان حتى اليوم. وفي هذا يؤكِّد الروح القدس أن المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد بواسطة تواتر الشهادة له قولاً وعملاً بأمانة الحياة له و باستعداد سفك الدم على اسمه في أي لحظة!

كيف يشهد القديسون للمسيح بحياتهم؟

معروف أن القديس لا يريد أن تشتهر حياته أو تُعرَف أعماله قط، وهو يجاهد أكثر ما يجاهد أن تظل حياته وأعماله مخفيتين عن عيون المادحين والمتملقين، لئلا يُفسِد عمل المسيح. ولكن وفي نفس الوقت، و بعمل مضاد تماماً، يعمل الروح القدس لإشهار كل عمل وكل قول وكل فضيلة تؤول إلى الشهادة للمسيح. لأنه «لا يمكن أن تُخفَى مدينة موضوعة على جبل ولا يُوقِدُون سراجاً ويضعونه تحت المكيال.» (مت ٥: ١٥)

وإن كان يظهر في هذا مضادة بين عمل الإنسان وعمل الروح القدس، ولكن تختفي هذه المضادة في الحال إذا علمنا أن الروح القدس إنما يُظهِر أعمال القديسين وسيرتهم وفضائلهم للمختارين فقط من أولاد الله الذين عندما تتكشف لهم أعمال القديسين يزدادون غيرة وتقوى ويمجّدون الآب الذي في السموات.

وهكذا نرى أن الروح القدس لا يزال يُعتبر في الكنيسة أنه هو المسئول الوحيد أو المسئول الرسمي للشهادة للمسيح، سواء في الخُدَّام والمرسلين حينما ينطق الحق في أفواه المتكلمين ويُهدي أقدامهم إلى مواطن الكرازة المستحقة، أو في العُبَّاد والقديسين حينما يحوِّل أعمالهم وفضائلهم إلى شهادة نافعة للكنيسة.

لذلك بينما يعتقد القديس أنه يسعى في الخفاء ليخلِّص نفسه بعيداً عن كل التيارات المعاكسة للخلاص وفي غيبة عن عيون الناس، ويتمادى في البعد عن العالم واختيار الأعمال الحقيرة وغير المنظورة، إذ نجد الروح القدس و بعد أن يكمل كل رفقته ومسيرته مع هذا القديس، و بعد أن يهبه كل ما يطلب لخلاص لنفسه ويسهِّل له كل شهوة قلبه

في الإختفاء والبعد والسلوك بمسلك المسكنة والإتضاع، يعود الروح القدس بنفسه فيكشف كل أعمال القديس التي أكملها له الروح القدس في الخفاء وتمت ونضجت تحت إرشاده الخاص ويقدمها لتكون شهادة فاخرة للمسيح!!

وهكذا لا يمكن أن يتم عمل صالح لحساب المسيح على الأرض في أي وقت من الأوقات إلاَّ ويتولى الروح القدس صياغته وتقديمه للعالم شهادة للمسيح ولمجد الآب، وكل القصد من ذلك هو أن يؤكِّد الروح القدس للعالم وجود المسيح في صميم الكنيسة بصورة واقعية وفعَّالة، لأنه إنما يكشف المسيح الحي في قديسيه.

فوظيفة الروح القدس الأساسية على الأرض هي الشهادة للمسيح، ووسيلته المحبوبة دائماً هم القديسون الرافضون لمجد هذا العالم وأباطيله!!

حياة القديس أنبا مقار كشهادة للمسيح:

من الأمور الملفتة للنظر دائماً في الكتاب المقدس أن الأشخاص الذين تقع عليهم مسئولية الشهادة لله بصورة ممتازة نجد ميلادهم يأتي غالباً بطريقة إعجازية فائقة للطبيعة. هذا نراه بوضوح من حياة إبراهيم وسارة في ميلاد إسحق بعد عُقْم شامل، حيث من إسحق صار الوعد ببركة كل الشعوب، وكذلك في ميلاد يوسف من راحيل، وميلاد صموئيل النبي من حنَّة، وميلاد يوحنا المعمدان من أليصابات. وكأنما يجيء الميلاد الفائق للطبيعة ليهييء صاحبه أيضاً ليكون شاهداً بأعمال وحياة فائقة للطبيعة!!

هكذا نجد القديس أنبا مقار، فإنه وُلد بعد عُقْم وشيخوخة من أب كاهن يُدعى إبراهيم وأم تُدعى سارة أيضاً، آية وإشارة للنير المزمع أن يضعه الله على كتفيْ هذا القديس بأن يكون أباً لنسل روحاني لا يُعدُّ ولا يُحصَى ولأجيال عديدة لا تنقطع خمسة عشر قرناً حتى الآن.

وفي سيرة أنبا مقار لا نواجه في الحقيقة أعمالاً نسكية فائقة للطبيعة مثل سَميِّهِ

الإسكندراني مثلاً. ولكن نواجه نعمة فائقة للطبيعة بكل تأكيد؛ فمنذ بكور حياة هذا القديس وهو شاب بعد، ظهر له واحد من الشاروبيم عياناً بكل وضوح بصورة إنسان بهي منير كالبرق، بأجنحة وعيون متلألئة كالجواهر، وهذه هي أول مرة على مدى التاريخ الكنسي كله نسمع بظهور الشاروبيم على وجه التحديد من بعد ظهوره في رؤيا حزقيال وفي سفر المزامير كحامل لله. ولكن في سيرة أنبا مقار لا يأتي الشاروبيم كمجرد رؤيا، وإنما يأتي كقوة إلهية معزية ومرافقة، فقد رافقه كل أيام حياته حتى لحظة نياحته. وهذا إنما يجعلنا نضع سيرة أنبا مقار وأعماله موضعاً خاصاً من جهة التدبير الإلهي، إذ قد تعيَّن هذا القديس بصورة فائقة للطبيعة أن يؤدي رسالة روحية في الكنيسة كقائد ومعلم على أعلى مستوى من البصيرة والإلهام.

أما الشهادة التي استطاع أن يقدِّمها الروح القدس للكنيسة ولحساب المسيح من صميم حياة القديس أنبا مقار الخاصة، فهي قدرة هذا القديس على جمع عدد لا يُحصى من النفوس في أخوية مسيحية فائقة الإنسجام والألفة بالرغم من تباين طبائعها ومشاربها، وكأنما استطاع الروح القدس عن طريق أُبوَّة هذا القديس أن يسقي هذه الجماعات الكثيرة التي كانت تُعَدُّ بالألوف روحاً واحداً من القداسة والإتضاع والقناعة المذهلة ارتفعت إلى مستوى البشارة والتأثير في كل أقطار العالم، حتى اجتذبت برية شيهيت أنظار العالم كله إلى عدة قرون متتالية صائرة مركز بشارة حية بإنجيل المسيح بصورة مُعاشة على مستوى نماذج فائقة الكمال.

هذا هو القديس أنبا مقار الذي تغرَّب يوماً عن قريته «شبشير» وتوغل في الصحراء القفرة الموحشة ليعيش مع المسيح في عُزلة كان يظن أنه لن يراه فيها أحد ولن يسمع به صديق أو قريب وأنه إنما اقتنى صداقة الروح القدس والشاروبيم ليكمل وصايا المسيح لخلاص نفسه فحسب، وإذ بالروح القدس الذي عزَّاه وعيَّن له أحد الشاروبيم الذي اقتاده في بدء حياته يعود بعد نضج الأيام واكتمال الفضيلة ويرسل له ألوف النفوس التي تسعى للخلاص والحياة الأبدية من كل أقطار الأرض فعزَّاها بالعزاء الذي اقتناه بالروح

واقتادها بقوة الشاروبيم الذي قاده حتى أوصل الجميع إلى ميناء الخلاص.

ولا تزال هذه الروح القديسة العملاقة تثبت وجودها على ممر السنين والأيام وتعمل عملها بحسب الوعد الإلهي ضمن سحابة الشهود العظيمة التي نحيا في ظلها متشجعين حتى نكمل شهادتنا كما أكملوا.



القديس مقاريوس بين السواح – ومن بينهم أبا نوفر السائح – كما تبدو في لوحة على جدران دير قديم في روسيا

الفصل الأول

نشأة القديس مقاريوس

١ ــ ألقاب القديس مقاريوس الكبير.
٢ ــ الموطن الأصلي لأسرة القديس مقاريوس، ولماذا دُعي بالمصري؟
٣ ــ نزوح الأسرة إلى شبشير بناءً على رؤيا سماوية.
٤ ــ مولد القديس في كنف كاهن ورعاية أم قديسة.

١ ــ ألقاب القديس مقاريوس

يقول روفينوس(١) إن اسم مقاريوس ظهر في سماء مصر كمصباح مضيء، أما القديس والمؤرخ القبطي أسقف الأشمونين ساويرس بن المقفع كاتب سِيَر البطاركة فيذكر اسم أنبا مقار في تاريخه بلقب «المضيء»، فهو يخاطب دير أنبا مقار قائلاً:

«دير الأب المضيء أبَّا مقار، مجمع الرهبان، وموضع الحكمة العالية، والصلاة الدائمة.»(٢)

ويقول بالليديوس(٣) كاتب سِيَر الآباء وأقوالهم: [لقد بلغ مقاريوس درجة من

(١) روفينوس أحد آباء الكنيسة اللاتينية، وكان تلميذاً لديديموس القبطي الإسكندري، زار شيهيت سنة ٣٧٢م، ويقول في كتابه: «آباء الصحراء» أنه رأى في أيامه خمسين ديراً في شيهيت (وكان يقصد بـ«شيهيت» نتريا). Ruf. v. p., p. 28.

(2) Evetts, IV, 386.

(3) Laus. Hist. Mac., 2.

الحكمة الروحانية (الإفراز) حتى كان يُدعى وهو بعد شاب بـ «**الصغير صاحب حكمة الشيوخ**» = παιδαριογέρων ، وترجمتها الوصفية «إنسان له جسم شاب ورأس شيخ». وما أن اكتمل عمره الأربعين سنة حتى وُهب **مصارعة الأرواح**، كما وُهب النبوة].

ويسجل لنا المؤرخ أميلينو، نقلاً عن كتاب فضائل القديس مقاريوس الموضوع باللغة القبطية، أوصاف القديس مقاريوس الروحانية كنص الترجمة:

[قيل عن أبينا القديس أنبا مقار أنه لما تقدّم في حياة الفضيلة، نال قوة معزية **ⲟⲩϫⲟⲙ ⲙ̀ⲡⲁⲣⲁⲕⲗⲏⲧⲟⲛ** من ربنا يسوع المسيح، حتى إن القوات المضادة كانت تضطرب وترتعد أمامه، بسبب القوة المعزية التي كانت فيه.](٤)

وقد أجمعت النصوص القبطية، سواء التي اختصت في كتابة سيرته مثل السيرة التي وضعها أحد معاصريه — وهو تلميذ أيضاً للقديس أنبا أنطونيوس — المدعو صرابامون(٥)، أو في الكتاب المختص بأقوال الآباء [أن شاروبيماً كان يظهر له ويبقى معه ليعزيه.](٦)

فيروي لنا كاتب سيرته هكذا:

[وفي كل مرة قابلنا أنبا مقاره، ما كنا نقول كلمة واحدة إلاَّ وكان يعرفها لأنه كان «لابساً الروح **ⲡ̀ⲛⲉⲩⲙⲁⲧⲟⲫⲟⲣⲟⲥ** إبنفماتوفوروس»، وكان يسكن فيه روح نبوي كما كان يسكن في إيليا وسائر الأنبياء، لأنه كان متسربلاً بالتواضع كمثل الثوب، بقوة الپاراكليت الساكن فيه. وبمجرد رؤيته وهو

---

(4) Amél., Hist. Monast., A.M.G. XXV.

(٥) صرابامون (أو سيرابيون أحياناً) قيل أنه رئيس تلاميذ الأب أنبا أنطونيوس الذي انتقل بعد نياحة معلمه، وسكن الإسقيط، وصاحب مكاريوس الكبير مدة من الزمن.

(٦) حياة القديس مقاريوس بالقبطية نشرها أميلينو مع ترجمة فرنسية ص ٧٢ و ٧٥ و ٨٥.
Amélin. A.M.G. XXV.

مملوء من نعمة الله المضيئة على وجهه ، كانت تعزية الروح القدس المعزي الذي فيه تأتي على كل الذين كانوا جالسين معه .](٧)

وأيضاً في نفس المخطوطة :

[ولما وصل الإخوة السبعة ومعهم أنبا موسى الأسود إلى قلاية أنبا مقاره ، وجدوا القلاية مضيئة من الداخل بنور أكثر من الشمس !].

وحدَّثنا « أوغريس » :

[إنني مضيت إلى عند الأب القديس مقاره ، فسألته عن الأفكار التي تقاتلني بها الشياطين . فلما تحدث معي — أضاء وجهه أكثر من ضوء الشمس ولما لم أستطع أن أنظر إلى وجهه ، سقطت على وجهي ، فبسط يديه وأنهضني .](٨)

وتقول المخطوطة أيضاً :

[وفي وقت نياحته حضر إليه **الشاروبيم الذي كان معه منذ الإبتداء** .](٩)

[إنه صار **رسولاً في زماننا** ، ولم ينقص شيئاً عن بطرس و بولس... لأجل الأشياء التي شاهدناها بأعيننا وما سمعناه من الإخوة .](١٠)

وقد عثرنا على صورة أثرية (١١) ، من دير القديس إرميا بسقارة ، للقديس مقاريوس الكبير التقطها إڤلين هوايت من على الحائط ، تُظهره طويل القامة ذا لحية خفيفة وطويلة نازلة إلى جيب قميصه ، مكتوب عليها باللغة القبطية وبحروف قديمة : « أبونا أبَّا مقاره اللابس الروح » . **ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲁⲡⲁ Ⲙⲁⲕⲁⲣⲉ ⲡⲓ̀ⲡⲛⲉⲩⲙⲁⲧⲟⲫⲟⲣⲟⲥ**

وقد أصبح ، بالفعل ، هذا هو لقبه الرسمي منذ القرن الرابع = اللابس الروح .

---

(٧) نفس المرجع السابق ص ٢٠٢ .

(٨) المخطوطة العربية س ١٨ : ص ١٧ و١٨ .

(٩) نفس المرجع السابق .

(١٠) نفس المرجع السابق .

(11) Ev. Wh., II, Pl. IV.

ويقول العالم الآبائي المشهور «كواستن» (١٢)، مؤكِّداً قول كاسيان (١٣)، أن القديس مقاريوس الملقب بالكبير أو المصري يعتبره التاريخ الكنسي الأب الروحي للإسقيط والمؤسس الحقيقي لبرية شيهيت، وذلك بالرغم من تأكدنا أن القديس آمون المعاصر للقديس أنطونيوس هو الذي بدأ الحياة الرهبانية في منطقة نتريا (الإسقيط الشمالي).

ويتفق كل من بالليديوس وروفينوس — وهما رائدا الصحراء الأولان — في اعتبار القديس مقاريوس صاحب مركز هام جداً في التاريخ الرهباني.

ويقول «تلمونت» (١٤) المؤرخ الفرنسي، أنه لا يوجد اسم شاعت شهرته بين متوحدي مصر من بعد اسم أنطونيوس أكثر من اسم مقاريوس!!

ويقول روفينوس (١٥) عن القديس مقاريوس المصري وسَميِّه القديس مقاريوس الإسكندراني، أنهما متناسبان بحسب اسميهما (مكاريوس = المطوَّب) من جهة الفضائل الروحانية والمواهب الإلهية، وأنهما برعا بالحقيقة في حياة التوبة حتى إلى الكمال، وبلغا إلى معرفة أسرار الله والتسلُّط على الشياطين وشفاء المرضى وصنع المعجزات.

الخلاصة:

لقد وُصف القديس أنبا مقاره ولُقِّب بالأوصاف والألقاب الآتية بحسب الأهمية:

١ — الكبير، والمصري.

٢ — اللابس الروح.

٣ — أب آباء جبل شيهات، وأب البطاركة.

٤ — المصباح المضيء، أو أنبا مقاره المضيء.

(12) Quast. Vol. 2, p. 161.
(13) Cassian conf. XV, 3.
(14) Tillm. VIII, p. 574.
(15) Ruf. v.p., p. 28.

٥ — الشاب الشيخ، أو الشاب الحكيم.

٦ — النبي.

٧ — مخيف الأرواح الشريرة.

٨ — صاحب القوة المعزِّية.

٩ — رفيق الشاروبيم منذ البداية حتى النياحة.

١٠ — المتسربل بالتواضع مثل الثوب.

١١ — مملوء من نعمة الله المضيئة على وجهه.

١٢ — كان وجهه يلمع أحياناً كالشمس.

١٣ — كانت قلايته تظهر مضيئة أثناء الليل.

١٤ — كان رسول زمانه كبطرس و بولس في أيامهما.

١٥ — أقام الموتى من القبور!!

ويصفه مار فلكسينوس الملفان السرياني المشهور في كتابه: «شرح أقوال الآباء»:

[وكان القديس مقاريوس كاملاً، معلِّماً لجميع سكان الديارة (بعد العظيم أنطونيوس)، وهو المكني عنه في الإنجيل «أقامه الله على عشر مدن»، وذلك في معنى المعرفة الإلهية.](١٦)

٢ — الموطن الأصلي للقديس مقاريوس ولماذا دُعي بالمصري

يقول بالليديوس أن مقاريوس الكبير دُعي بالمصري لأنه «مصري جنساً»(١٧)، ثم لكي يُفرِّق بينه و بين مقاريوس الصغير (الإسكندري) قال: إن هذا الآخر إسكندراني. ومن ذلك نرى أن كلمة «إسكندري» تعني «من الإسكندرية»، وكلمة «مصري»

(١٦) شرح البراديسوس لمار فلكسينوس — مخطوطة رقم ٩ س بمكتبة دير أنبا مقار.

(17) Laus. Hist. Mac. 1, 2.

تعني «من إقليم مصر»، وهو إقليم منف (الجيزة الآن). فالألقاب بالنسبة للقديسين كانت تشير إلى موطن نشأة القديس الأولى. إما «تبايسي» أي صعيدي، أو «مصري» أي من إقليم منف، أو «إسكندري» أي من نواحي الإسكندرية... إلخ.

ويؤكِّد المؤرخ «رينيه باسيه» (١٨) أن بلد القديس مقاريوس الكبير هي منف، اعتماداً على اللقب الذي اشتُهر به منذ البدء (المصري).

وتشير المخطوطة العربية (١٩) وزميلتها المخطوطة القبطية التي حقَّقها وترجمها ونشرها المؤرخ أميلينو (٢٠)، عن حياة مقاريوس الكبير بقلم صراباموِن تلميذه، أن بلد أَبَوَيْ مقاريوس لم تكن «شبشير»، إنما شبشير هي البلد التي نزحا إليها من موطنهما الأصلي، دون ذكر اسم هذا الموطن اعتماداً على بديهيته، كونه ملقَّباً بالمصري.

٣ – نزوح الأسرة من منف إلى «شبشير» بناء على رؤيا سماوية

وكان أبوه قديساً، يُدعى إبراهيم، كاهناً على كنيسة المنطقة المذكورة (منف). وكانت أمه امرأة قديسة تُدعى سارة. وكانا عاقرين، وقد حدثت في زمانها حوادث شغب ونهب وسلب، اضطرتها للهجرة إلى بلدة شَشوير بالمنوفية، أو كما تقول المخطوطة: [كان في ذلك الزمان هياج ولم يكن أحد يخاف السلطان (الوالي الروماني على إقليم مصر) في كل أرض مصر، وكان كل مَن يتمكن من رفيقه يقتله وينهب أمواله. وإذا بلصوص أتى بهم الشيطان إلى منزل هذين المغبوطين فأخذوا كل مالهما... وفي رؤيا أمرهما الملاك أن يرحلا إلى شَشوير.] (٢١)

---

(18) Synax. R. Bass.

(١٩) المخطوطة ١٨ س بمكتبة دير أنبا مقار.

(20) Amélineau, Histoire des monasteres de la Basse-Egypte, Annales du Musée Guiment. Paris XXV.

(٢١) المخطوطة العربية ١٨ س – ص ٤٦ و٥٨ بمكتبة دير أنبا مقار.

ويحقق هذه الواقعة التاريخية إﭬلين هوايت فيقول: [إن هذا الوصف يطابق تماما ما يسجله التاريخ عن الثورات المحلية التي جرت في مصر أيام حكم أخيلْيوس Acheleus، وذلك في سنة ٢٩٥ — ٢٩٧م](٢٢). كذلك برجوعنا إلى تاريخ الحكم الروماني الذي وضعه المؤرخ جيبون، تحقَّق لنا أيضاً صدق هذه الرواية، إذ نجد أنه في أيام دقلديانوس (٢٨٤ — ٣٠٥م)، قامت ثورة في مصر استطاع دقلديانوس أن يُخمدها(٢٣).

والمعروف أن مقاره وُلد سنة ٣٠٠م أي بعد نزوح الأسرة إلى شبشير بسنتين أو ثلاثة. وهكذا يشاء الله أن يقف التاريخ المدني شاهداً لصدق رواية حياة القديس مقاريوس للكاتب الأب سيرابيون. لذلك يضيف إﭬلين هوايت قائلاً: [وهكذا يكون خبر هجرة أَبَوَيْ مقاريوس (قبل أن يولد) إلى بلدة ششوير جزءاً من تقليد صادق وأصيل.](٢٤)

ششوير التي بجوار ترنوط، أُم المدن:

أما ششوير فهي بلدة شبشير الآن (مركز المنوفية). وقد أتى هذا الإسم بصور مختلفة، منها ششفير، وشبشير، وشبشر، وچچوير، وشفشير. واختلاف الكتابة جاء نتيجة اختلاف النطق. أما ترنوط(٢٥) فهي مدينة قديمة غرب فرع النيل الغربي (رشيد) قريبة من مدينة نيقوسيا (أبشادي)، وهي الآن الطرانة (مركز كوم حمادة)، واسمها اليوناني قديماً Térénouthis، واسمها القبطي يُنطق Ternout. وتقول عنها المخطوطة أنها أُم المدن، أي مترو بوليس، مما يشير إلى أنها كانت مركز أسقفية. وظلت هذه المدينة ناهضة حتى القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). كما يذكر كتاب المسالك لإبن حوقل: [أنها كانت ملآنة بالكنائس والأديرة الكثيرة (معابد للنصارى)، وبها قسيسون

(22) AMEL., AMG, XXV, pp. 49.

(٢٣) جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية — المجلد الأول — ص ٢٩١.

(24) Ev. White II, p. 61.

(٢٥) «ترنوت»، أو «طرانة»، كلمة تعني حسب تحقيق إﭬلين هوايت «بحيرة نطرون» أو «أرض نطرون»، ولعلها من كلمتين تِرَّا Terra أي أرض وحرف نا Na وهو الرمز الكيميائي لإسم الناتريوم أو الصوديوم.

ورهبان كثيرون، وأسواق عامرة، وحمّامات، وهي قرية ذات شأن في التاريخ الرهباني.] (٢٦)

وكانت «ترنوط» هي سوق شيهات(٢٧)، التي كان ينزل إليها جميع الرهبان لبيع شغل أيديهم، ولشراء لوازم حياتهم من قمح وزيت وخلافه؛ وهي التي حدثت فيها الواقعة الحاسمة بين عمرو بن العاص والروم أيام الفتح العربي. وإليها نزل رهبان برية شيهات لمقابلة عمرو بن العاص، وكان عددهم آنئذ ٧٠٠٠٠ راهباً — حسب رواية المقريزي — فأعطاهم الأمان على صورة وثيقة ظلت محفوظة بدير أنبا مقار عدة قرون.

وقد تخرَّبت كنائسها وأديرتها على يد كتامة في حربه مع القاسم بن عبد الله. وهي معروفة الآن بطرانة كوم حمادة، على أنه كان يوجد طرانة أخرى بإسم طرانة البرنوجي، أي ترنوت نتريا، وكانت مركز تجارة نطرون إقليم نتريا، أي جبل برنوج.

وكما علمنا أن كلمة «طرانة» تفيد مكان الحصول على النطرون، لذلك تُضاف كلمة «طرانة» على اسم البلدة المتاخمة لها دائماً، فيُقال: طرانة جبل النطرون (شيهيت)، أو طرانة البرنوجي (نتريا).

٤ — مولد القديس في شبشير ونشأته الأولى

لقد أعطانا بالليديوس(٢٨) تحديداً يقرب من الدقة للسنة التي وُلد فيها القديس

(٢٦) ظلت قرية الطرانة مركزاً لقيام القوافل الذاهبة إلى وادي النطرون مدة خمسة عشر قرناً من الزمان. هذا بجوار أنها كانت مركزاً هاماً لكثير من الديارات. والمعروف أن القديس أنبا مقاره كان ينزل إليها كثيراً ليبيع شغل يديه مع رهبانه طول مدة حياته.

(27) Ev. White, II, 72, Apoph. Pat. XIII.

(28) Hist. Laus. ch. XVII.

مقاره، إذ يقول بالليديوس إن مقاره عاش ٩٠ سنة، ويعود فيقول إن مقاره تنيَّح قبل مجيئه شيهيت بسنة واحدة[٢٩]. ومجيء بالليديوس معروف أنه كان حوالي سنة ٣٩٠م أو أكثر قليلاً. وهكذا يتحقق لنا أن مقاره وُلد حوالي سنة ٣٠٠م، وكان مولده في قرية شبشير بعد نزوح الأسرة إليها بسنتين أو ثلاث تقريباً.

وتقول المخطوطة إنهم [حملوا معهم من وطنهم الأصلي ما تبقّى لهم من فضة وأتوا إلى شبشير، فاشترى قطعة أرض ليفلّحها بالإضافة إلى خدمته الكهنوتية التي استأنفها مع كهنة القرية، الذين رحَّبوا به، لِمَا رأوه عليه من نعمة وقداسة]. وقد بشَّره الملاك يوما ما وهو مريض مُلقى في الكنيسة بميلاد ابن مبارك له. وفي الميعاد، حسب ما قاله له الملاك، وُلد لهما ابن في غربتها ودعاه مقاره. وهنانقدم بحثاً هاماً في أصل اسم «مقار»، فالإسم أصله فرعوني ويكتب بالحروف الديموطيقية هكذا: [demotic signs] وتُنطق ماخرو Mchrw، ومعناها (صادق الصوت)، وتفيد صفة الصدق والأمانة[٣٠]. وقد كانت تُنطق بالقبطية Uakape مَقَارِ بكسر الراء وأُضيفت إليها هاء أخيرة لنضج النطق، فصارت مَقَارِه بكسر الراء؛ وأخذ العرب هذا النطق عن القبطية، وتداولت الكلمة، فصارت مقاره، وهو أصحّ نطق للإسم[٣١]. أما باللغة اليونانية فأُضيفت الواو والسين علامة الإسم مقاريوس.

وتستمر المخطوطة في سرد قصة حياته:

[وكان الطفل يتربى وينمو في مخافة الله على يد أبويه الصالِحَيْن. ولمَّا شب عن الطوق، بدأ يذهب مع أبيه إلى المزارع. وقليلاً قليلاً بدأ يساعد أباه في فلاحة الأرض، وكان أن الله وسَّع رزقهما جداً من مواشي وأملاك. و بدت النعمة على

---

(29) Ibid., Mac. 13.

(٣٠) البحث هنا للأستاذ الدكتور مصطفى الأمير أستاذ اللغة الديموطيقية بكلية الآداب؛ قدّمه لنا مشكوراً.

(٣١) وهذا النطق وجدناه مكتوباً في مخطوطة الدكتور جورجي صبحي العربية المكتوبة بحروف قبطية، والتي سجّلها له العلاّمة إڤلين هوايت في كتابه الأول ص ٢٣١.

الشاب مقاره، فكانوا يلقّبونه بـ« الشاب الحكيم » . ومن فرط حب كهنة القرية له أخذوه إلى أسقف الناحية بدون علم أبيه ورسموه « أناغنوستيس »].

زواج لم يحل البتولية:

وكان أبواه يدبران له، حسب نيتهم، لكي يزوِّجوه ويرسموه كاهناً. وهكذا أيضاً بدأ الضغط من الكهنة، بالإضافة إلى أبويه، حتى رضخ لهم بدون نيَّة منه. ولكنه حفظ بتوليته باتفاق مع الفتاة التي اختاروها له.

ولكي يكمل الكهنة نيتهم فيه، أخذوه ورسموه شماساً (كخطوة لازمة قبل القسوسية). ولكي يبتعد مقاره عن الفتاة أطول مدة ممكنة، كان يذهب مع الجمَّالين الأُجراء عند أبيه لجلب النطرون (البورق كما في المخطوطة) **من جبل النطرون!** وهكذا أتقن خدمة الإبل والجمال، لذلك كان يُدعى مقاره الجمَّال.

[وكان جميلاً حسناً في بهاه، وكان وجهه ممتلئاً نعمة، فأخذه الكهنة ومضوا به إلى الأسقف فكرَّزه أغنسطساً، ... وكان حافظاً مخافة الله بالطهارة وتلاوة الكتب المقدسة في الكنيسة، وكان يفهم بقلبه الذي يقرأه، فألزمه كهنة الكنيسة أن يكون خادماً للبيعة (أي ثبَّتوه شماساً عليها)، واضطرُّوه أن يأخذ له أمرأة، وكان أبواه يحبان هذا الأمر وهو لا يريد ذلك، فأكرهوه غصباً، ... ولكنه كان بقلبه ونفسه ناظراً إلى الله، فلم ينظر إلى أمرأته ولم يتقدم إليها البتة وظل حافظاً الطهارة].

[وكان لأبيه جمال كثيرة فطلب من أبيه أن يمضي مع الأُجراء إلى الجبل ليحملوا النطرون إلى مصر، وأراد بذلك أن يبعد من قلبه إرادة المرأة ويتخلص من التقدم إليها ورؤيتها ... وكان يعيش مع الجمَّالين، لذلك سُمِّي من أهل بلده بالجمَّال].

وهنا تبدأ في السيرة أول إشارة إلى العلاقة المقدسة التي بدأت بين مقاره وجبل شيهيت واستمرت إلى اليوم، وستستمر إلى جيل الأجيال...

ظهور الشاروبيم على صورة إنسان مهيب ومنير:

وفي إحدى الأسفار وهو نازل مع الجمَّالين إلى وادي النطرون وقد صار بالقرب من الجبل المطل على البحيرات (أسفل الجبل الذي فوق البحيرة)، وكان الكل نياماً من التعب ومقاره أيضاً نائم، إذ [رأى في نومه أمراً مخوفاً: إنساناً نورانياً متَّشحاً بإسطوانة كالبرق الساطع، وهذه الإسطوانة مكلَّلة بالجواهر (عيون الشاروبيم)، وكلَّمه قائلاً: «أنظر حولك وتأمل أعماق الجبل». فأجابه مقاره: «إني يا سيدي لا أرى شيئاً سوى رأس البهلس (بحيرات النطرون)، والغابة (أعشاب البردي والنخيل المتكاثف بالقرب من الماء)، وعن يمينه البقعة (المستنقعات)، والجبل المحيط. فقال له الرجل النوراني: «إن الله يقول لك إني أعطيك هذا الجبل ميراثاً لك ولأولادك، يتفرَّغون فيه للصلاة، ويخرج منك رؤوس ومقدَّمون، من هذه البرية. والآن انهض من نومك وتذكر جيداً جميع ما قلته لك، وإذا صرت كاملاً أعود فأظهر لك، وأُكلِّمك بما يجب من فم الله].

وكان هذا هو أول ظهور الشاروبيم للقديس مقاره، الذي صار رفيقاً ومرشداً له طول أيام حياته حتى يوم نياحته.

الظروف تخضع لإشتياق القداسة:

وبرجوعه إلى بلده، وجد أن فتاته البتول مريضة بالحمى، التي اشتدت عليها حتى فارقت الحياة، وكان هذا بتدبير من الله لتبدأ قصة القديس مقاره على أروع صورها.

فما كان من الشاب مقاره إلاَّ أن تنبَّه لنفسه قائلاً: «يا مقاره احرص الآن على اغتنام هذه الفرصة لنفسك لمداواتها، لأنك حتماً ستؤخذ مثل أختك التي سبقتك».

وبدأ مقاره لا يُرَى في البيت إلاَّ منتصباً في الصلاة!! ولا يوجد خارج البيت إلاَّ في الكنيسة!!! وظل يخدم أباه الشيخ إلى أن أسلم أبوه روحه الطاهرة.

وبموت أبيه ابتدأ يفرِّق مقتنياته كلها التي ورثها عنه، ولما بدأت أمه تعنِّفه على مسلكه، كان يحتملها بصبر، إلى أن تنيحت هي الأخرى بعد ستة أشهر من نياحة بعلها.

الفصل الثاني

اعتزاله العالم

١ ـ الإعتزال الأول بجوار الريف.
٢ ـ الإعتزال الثاني والنهائي.

١ ـ الإعتزال الأول

و بوصية من راهب متوحد كان يسكن في ظاهر القرية، صادفه الشاب مقاره يوماً في الكنيسة، انطلق مقاره بعيداً من القرية وسكن وحده، كما فعل القديس أنطونيوس من قبل.

[وكان هناك راهب متوحد بعيداً من القرية قليلاً، يتقي الله كثيراً، هادياً في رهبنته، منفرداً وحده. هذا مضى إليه مقاره وعرَّفه أفكاره قائلاً: إني أؤثر أن أعيش منفرداً واهتم بخلاص نفسي. فتعجَّب المتوحد من لطف خطابه وتواضعه، فأجابه بكلام أحلى من الشهد، وقال له: الشيء الذي فكَّرت فيه إعمله، فإن دعوتك هي من الله. وأرشده الشيخ أن يمضي بعيداً من القرية ويسكن في قلاية وحده، لأنه لم تكن هناك بعد أديرة.](١)

وهذا هو الإعتزال الأول الذي دام عشر سنوات، والذي قُرب نهايته احتال أهل القرية عليه وما زالوا يتوسلون إليه حتى رسموه قساً حسب روايته التي رواها عن

(١) المخطوطة المذكورة رقم ١٨ س.

نفسه (٢). وتقول المخطوطة العربية: [فلما شاهد أهل تلك القرية أعماله الحسنة وتواضعه الكثير، تشاوروا فيما بينهم ليرسموه قساً، فضوا إلى أسقفهم القديس الذي في أشموم (أشمون) ليقسمه قسيساً، ولما وافق الأسقف أتوا مسرورين إلى قلايته فأخذوه غصباً ومضوا به إلى الأسقف فقسمه لهم قساً، وصارت عليه نعمة الله ليُعين نفسه والكثيرين].

ويقول رينيه باسيه (٣) — اعتماداً على تاريخ لوزياك، أن الأسقف هو الذي أجبره على قبول الرسامة بسبب ذيوع شهرته كناسك. ويقول المؤرخ سوزومين (٤): إن القديس مقاره رُسِم قساً وهو في سن الأربعين سنة ٣٤٠م، وذلك في نهاية اعتكافه الأول الذي دام عشر سنوات، وأن القديس بدأ وحدته ونسكه وهو في سن الثلاثين. وهذا القول يدعِّمه أقوال الآباء باللاتينية لكوتلييه (٥).

الفضيلة تلازم مقاره منذ بدء نسكه:

[وفي هذه الأيام، حدث أن خرج من قلايته، فرأى شخصاً يسرق حاجاته ويضعها على جمل، فاقترب إليه متظاهراً أنه غريب **وعاونه في ترتيب وتحميل الحاجات على الجمل**. و بعد هذا ضرب السارق الجمل لينهض ويسير، فلم يقم الجمل. فدخل مقاريوس قلايته فوجد فيها مخلاة تركها السارق، فحملها للسارق قائلاً: «يبدو أن الجمل يرفض القيام قبلما يأخذ هذه المخلاة أيضاً»، فوضع المخلاة على الجمل ونخسه (٦)، فقام الجمل طاعة للقديس. وسار الجمل وخلفه السارق مع القديس أنبا مقاره الذي أخذ يناجي نفسه قائلاً: «إننا دخلنا العالم بلا شيء

(٢) بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦ ص ١٤.

(3) Synax. R. Basset.

(4) Soz., Ecc. Hist., III. 14.

(5) Cotel. Vit. pat. Latin 3:99, 615. ch. 25.

(٦) من هذا الوصف يتضح تماماً أن القديس مقاره كان جمَّالاً، فعملية تحميل الجمل تُعتبر صناعة لها أسرارها، وكذلك طريقة إعطاء الإشارة للجمل بالقيام بواسطة النخس بالرجل!!

وواضح أننا لن نأخذ منه شيئاً. الرب أعطى والرب أخذ. وما حدث، فهذا بحسب مشيئته ومسرته، الحمد لله». وبعدما سار الجمل مدة من الزمن برك على الأرض ورفض القيام إطلاقاً، إلاَّ بعد أن حلُّوا الحمل وأنزلوه عن الجمل، وعندئذ قام ومشي بسهولة. وهكذا استرد القديس أمتعته...] (٧)

التجربة الحزينة التي دفعته إلى الإسقيط، وبدء اعتكافه الكبير:

تقول المخطوطة القبطية المنسوبة للقديس سيرابيون تلميذ أنطونيوس، إن هذه التجربة القاسية التي امتحنه بها الرب ليزكّي بها سيرته الطاهرة ويدفعه إلى داخل البرية، أتت عليه بعد رسامته قساً(٨) أثناء وجوده بالقرب من القرية، وهذه القصة كانت شائعة جداً بين الرهبان أثناء حياة القديس، لأنه — على ما يُظن — كان يرويها بنفسه كما يقول سيرابيون كاتب سيرته: [وهذه التجربة أنتم أجمعون تعرفونها كما شهد هو من فمه الطاهر، وأنا أجدد ذكرها في هذا الكتاب]...

[لما كنت شاباً وعائشاً في قلايتي بريف مصر، جاءوا واختطفوني ورسموني قساً على قرية. ولما لم أكن أهلاً لهذه الوظيفة، هربت إلى قرية بعيدة حيث كان يتردد عليَّ رجل بار يأخذ مني شغل يدي ويسد احتياجاتي.

وفي يوم من الأيام حدث أن بتولاً في ذلك المكان سقطت في الخطيئة وحملت في بطنها. فلما أشهرت، سُئلت عمَّن فعل معها هذا الفعل فقالت: «المتوحد...!؟». وسرعان ما خرجوا عليَّ وأخذوني باستهزاء مريع إلى الضيعة، وعلَّقوا في عنقي قدوراً مُسودة وآذان جرار مسخَّمة، وشهَّروا بي في كل شارع من

(7) Apoph. Pat. 55, S. no. 188, 189, Cotel. Vit. Pat. 3:73, 5:16 & 6, 7:3 & 1.

(٨) يخطىء إڤلين هوايت في تقديره أن القديس مقاره رُسم قساً وهو في الإسقيط، وبعد عشر سنوات من نسكه هناك. فالعشر سنوات قضاها بالقرب من الريف وانتهت برسامته كاهناً قبل دخوله البرية — كما تقول المخطوطة القبطية لسيرابيون تحقيق أميلينو.

شوارع الضيعة، وجماعة الصبيان يجرون خلفي وهم يضربونني قائلين: «إن هذا الراهب أفسد عفة ابنتنا البتول وفضحها، اخزوه». وهكذا ضربوني ضرباً موجعاً، قربتُ بسببه من الموت، إلى أن جاءني أحد الشيوخ فقال لهم: «إلى متى هذه الإهانة؟ أما يكفيه كل ذلك خزياً؟»، ولكن دون جدوى. أما الرجل البار الذي كان يعولني، فكان يتبعهم من بعيد وهو خازي الوجه، وكانوا يستهزئون به أيضاً قائلين: «أنظر ماذا فعل ذلك المتوحد الذي كنت تُحدثنا عنه بكل وقار»، وكانوا يواصلون ضربي قائلين إنهم لن يسكتوا عن ذلك حتى يأتيهم بضامن يتكفل بالقيام بإطعامها وتربية ولدها. فقال الشيخ الخادمي: «إضمنه»، فضمنني. ومضيت إلى قلايتي ودفعت إليه الزنابيل التي كانت عندي قائلاً: «بِعْها وادفع ثمنها لـ,, امرأتي،، لتأكل بها». وخاطبتُ نفسي قائلاً: «كِدّ يا مقاره، ها قد صارت لك امرأة». فكنت أشتغل ليلاً ونهاراً وأتعب لها لأقوم بإطعامها.

فلما حان وقت ولادة الشقية، مكثَتْ أياماً كثيرة وهي معذبة وما استطاعت أن تلد. فقالوا لها: «ما هو هذا؟»، فقالت: «إن كل ما أصابني كان بسبب أني ظلمت المتوحد واتهمته، وهو بريء، لأنه ما فعل بي شيئاً قط. لكن فلان الشاب هو الذي فعل بي هذا». فجاء خادمي إليَّ مسروراً وقال: «إن تلك الشقية ما استطاعت أن تلد، حتى اعترفت قائلة إن المتوحد لا ذنب له في هذا الأمر مطلقاً، وقد كنت كاذبة في اتهامي له، وها هم أهل القرية كلهم عازمون على الحضور إليك، يريدون أن يتوبوا إليك ويسألوك الصفح والغفران».

فلما سمعت أنا هذا الكلام من خادمي، أسرعت هارباً إلى الإسقيط. وهذا هو السبب الذي لأجله جئت إلى جبل النطرون.](٩)

---

(٩) بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦ ص ١٤، وهي تطابق الأصل اليوناني القديم

Laus. Hist. ch. XVII, ad. init.

وقد راجعناها على المخطوطة القبطة تحقيق أميلينو المجلد ٢٥ صفحة ٢٠٣—٢٠٥ من كتابه المعروف باسم

A. M. G.

٢ — الإعتزال النهائي

ظهور الشاروبيم والدعوة للإعتزال الكلي:

وبعد هذه الحادثة الحزينة — تقول المخطوطة إن القديس بدأ يفكر كيف ينتقل من الموضع جملة.

[ولما سمع القديس أن أهل القرية قادمون للإعتذار له ولتكريمه، فكَّر أن يخرج من ذلك الموضع ويمضي ويسكن في قلاية أخرى بعيداً، وفيما هو واقف يصلي من أجل هذا الأمر أمام المذبح في الكنيسة شاهد عن يمينه كاروبيماً نارياً له ستة أجنحة، وكله مملوء عيوناً، فلما أراد القديس أن يتفرَّس فيه حسناً اشتمله الخوف فسقط على وجهه، فتقدم إليه الشاروبيم المقدس ومسكه وأقامه وقوَّاه وقطع عنه الخوف، فلما تأيَّد قال له لماذا ثقل قلبك؟ أنسيت ما قلته لك؟ حسناً الآن أنك احتملت هذه التجربة حتى تأخذ الكمال، غداً بادِر واخرج من هنا وامض واسكن في الموضع الذي أريه لك: فنسى مقاره كل الضرب والتعذيب الذي ألمَّ به... ولما كان الليل وقام للصلاة كعادته أبصر بغتة نوراً عظيماً في الموضع، فعلم القديس أنه الكاروبيم، وبقى ساعة وهو لا يخاطبه، لأنه كان مرتعداً. وبعد ذلك خاطبه وقوَّاه وقال له: امشِ ورائي كما أُريك. فسار والكاروبيم أمامه، وبعد يومين دخل الجبل ودار به حوله كله، وأراه كل نواحيه وكل المواضع المزمع أن تكون مسكناً هناك. فقال القديس مقاره للكاروبيم: أطلب إليك يا سيدي عرِّفني أين أسكن في هذا الجبل؟ فقال له الكاروبيم : هذه الإرادة هي لك، ها كل البرية أمامك، لأني أخشى، لئلا أعطيك وصية أن تسكن هنا أو هناك فيقاتلك الضجر أو الإضطهاد وتخرج من ذلك الموضع وتتجاوز الوصية فتخطىء!... فليكن سكناك بسلطانك نفسك. فأينما أردت، أسكن. وجرِّب وكُنْ صامتاً، وتأمل ذاتك، وتحرز حسناً من مقاومة الشرير وحِيَله، أما أنا فسأكون كل وقت معك كأمر الله].

الرحلة الخالدة التي فتحت آفاقاً جديدة للكنيسة إلى جيل الأجيال:

وتحت تأثير الفرح والنور الداخلي و بقيادة الشاروبيم، سار مقاره وحيداً متجهاً إلى جبل النطرون، يومين كاملين، كما تقول المخطوطة. وأخذ يدور في الجبل، وكأنما كان يضع الأساس الروحاني غير المنظور للحياة النسكية، التي ستدوم في تلك الأديرة إلى الأبد.

الإقامة في شيهيت:

يقول بالليديوس، في تاريخه إلى لوزاس: إن القديس مقاره التجأ إلى الصحراء وهو في سن الثلاثين[10]؛ و بناءً على ذلك يعتقد إڤلين هوايت أن هذا التاريخ هو بداية سكناه في شيهيت. ولكن الحقيقة أن هذا التاريخ ٣٣٠م هو بداية توحُّده عامة، لأنه توحَّد فعلاً في الصحراء المتاخمة لقريته مدة عشر سنوات، التي في نهايتها رُسم قساً، وكان يمارس خدمة الكهنوت في القرية التي زكّته قساً.

وأخيراً انطلق وهو في سن الأربعين سنة ٣٤٠م إلى شيهيت.

وتمدنا كل من المخطوطة العربية والمخطوطة القبطية — تحقيق المؤرخ أميلينو — بوصف لطيف عن الأيام الأولى التي قضاها القديس وحيداً في شيهيت.

تقول المخطوطة:

[فمشي الأب مقاريوس في الجبل، وشاهد كل ما فيه، ووصل إلى الموضع الذي يُدعى بهلس Anaballos ولم يكن بعيداً من الماء العذب، وحفر في ذلك الجبل وعمل له مغارة وسكنها أياماً قليلة، ثم خرج يطوف البرية. وجاء إلى يمين ذلك الموضع وحفر سرداباً وسكن فيه، لأن الناس (رفاق مهنته الأولى من الجمَّالين حاملي النطرون) كانوا يطرقونه وهم في طريقهم إلى البهلس. و بعد زمان طويل وهو في ذلك الموضع، حدث أن أجناداً من الروم قام عليهم البربر وقتلوهم، مما

(10) Hist. Laus. ch. XVII.

جعله يصلح موضعاً آخر يصلي ويقرأ فيه (لا يعرفه أحد)، ومكاناً آخر يعمل فيه الضفيرة، يعرفه الجمّالون الذين كانوا يبيعون له شغل يديه ويأتونه بالخبز اليابس.](١١)

أما المخطوطة القبطية فتضيف:

[إنه بسبب الأقوام الذين كانوا يطرقونه، انتقل جنوباً نحو الصخرة (صخرة شيهيت الأولى المعروفة الآن بقارة أولاد الملوك)، وحفر مغارتين بينهما سرداب.](١٢)

ومن وصف المخطوطة القبطية يتضح أن المكان هو الموضع قرب البراموس الآن، حيث تجمّع حوله التلاميذ الذين صاروا باكورة شيهيت المقدسة، وأول دير في الإسقيط (١٣).

ويلاحظ أن المخطوطة العربية أوضحت أنه عاش في ذلك المكان **زماناً طويلاً**.

---

(١١) المخطوطة العربية ١٨ س بمكتبة دير القديس أنبا مقار.

(12) AMEL., AMG, XXV, p. 76.
(13) Hist. Monachor. Gr. ch. XXX.

الفصل الثالث

ز يارة أنبا مقاره
للأب الكبير أنبا أنطونيوس

١ — الز يارة الأولى في بدء توحُّده سنة ٣٤٣م.
٢ — الز يارة الثانية بعدها بعشر سنوات تقر يباً سنة ٣٥٣م.

١ — الز يارة الأولى

في أثناء فترة حياته الاولى، نعلم من المخطوطة العر بية أنه قام بزيارته الأولى للأنبا أنطونيوس، وذلك في بدء إقامته بشيهيت، و بالتحديد بعد **ثلاث سنوات** من وصوله إلى شيهيت، حيث تقول المخطوطة:

[ولما لم يكن إنسان آخر ساكناً في ذلك الجبل يتعزّى بمعاينته ويكشف له أفكاره التي يسوقها عليه العدو، حدث أنه بعد **ثلاث سنين** فكَّر في نفسه وقال: ها إني جئت إلى هذا الموضع، وليس لي أحد يرشدني إلى سيرة البرية، أقوم الآن وأمضي إلى الأب أنطونيوس، لأنه كان قد سمع به وهو بعد في مصر. وقام و بدأ المسير في الطريق حتى وصل إلى الأب أنطونيوس في الجبل الشرقي. فلما اجتمع بالشيخ القديس قَبله بفرح وكشف له أفكاره كإبن لأبيه. وإن الشيخ القديس أنطونيوس قَبَّل رأس القديس مقاريوس وقال له: يا ابني مقاره، إنك عتيد أن تصير مغبوطاً كإسمك!! وإن الشيخ العظيم وعظه وأيده بكلام كثير بما يليق بزي الرهبنة المقدس وعرَّفه بقتالات العدو. ولما طلب منه الأب مقاره بتواضع وتخشُّع أن

يسمح له بالسكنى عنده، أن الشيخ الأب أنطونيوس لم يطلق له ذلك؛ لكنه قال: كل واحد منا يلزم الموضع الذي دعاه الرب إليه. ومكث عند الشيخ أياماً قليلة، قبل فيها وصايا ورسوم خدمته. ثم قام ورجع إلى جبله، وجلس في قلايته صامتاً يخدم الله متكلاً عليه وحده. وكان الكاروبيم يفتقده دائماً].

وهكذا يبدو لنا أن هذه الزيارة الأولى تمّت سنة ٣٤٣م وفيها أصبح مقارة تلميذاً للأب الكبير أنبا أنطونيوس(١)، بمعنى أنه استلم منه «وصايا ورسوم خدمته» وكل «ما يليق بزي الرهبنة المقدس.»(٢)

ويصف كتاب أقوال الآباء هذه الزيارة هكذا:

[وذهب أبا مقاره الكبير لزيارة أبا أنطونيوس في جبله، فلما دق الباب خرج أنطونيوس إليه وسأل: مَنْ بالباب؟ ثم قفل ودخل إلى مغارته وتركه خارجاً، ولما رأى صبره فتح له وتحدّث إليه بلطف قائلاً: «إن لي زماناً كثيراً وأنا مشتاق أن أراك، إذ سمعت بأخبارك». وأراحه لأنه كان مُجهَداً من أثر تعب شديد. ولما حان المساء بلّ أنطونيوس قليلاً من الخوص لنفسه، فقال له مقاريوس: «أتسمح أن أبلّ لنفسي أنا أيضاً قليلاً من الخوص؟»، فقال له: «بلّ». فأصلَح حزمة كبيرة وبلّها، وجلسا يتكلمان عن خلاص النفس. وكانت الضفيرة تنحدر من الطاقة، فرأى أبا أنطونيوس باكراً أن مقاريوس قد ضفَّر كثيراً جداً، فقال: «إن قوة كبيرة تخرج من هاتين اليدين».].(٣)

٢ — زيارة أنبا مقار الثانية للأنبا أنطونيوس

والمخطوطة القبطية والعربية لسيرابيون تذكر زيارة أخرى قام بها أنبا مقاره للأب

---

(1) Butler (L.H. ii, p. 193).

(2) AMEL., AMG, XXV, p. 77.

(3) AMEL., AMG, XXV, p. 77; Apoph. Pat., Macar. IV.

الكبير أنبا أنطونيوس، ولكن كثيراً من العلماء يؤكّدون عدم حدوث مثل هذه الزيارة. غير أن من أقوال الآباء([4]) يبدو بكل وضوح وتأكيد أنه تمَّت زيارتان فعلاً؛ ففضلاً عن الرواية التي ذكرناها، أتى في أقوال الآباء خبر عن زيارة أخرى ذات لهجة وألفاظ تُخالف الأولى تماماً:

[حدث مرة أن ذهب أبا مقاره لزيارة أبا أنطونيوس، فلما تحدث معه عاد إلى شيهيت، وجاء الآباء لإستقباله. وبينما هو يتحدث معهم، قال لهم: لقد قلت لأبَّا أنطونيوس إننا لا نقيم ذبيحة في موضعنا «ديرنا بشيهيت».]([4])

فاستقبال الآباء لأنبا مقاره في هذه المرة يفيد أنه كانت قد تكونت جماعة كبيرة، حتى إنها صارت تحتاج إلى إقامة كنيسة، أما في الزيارة الأولى فواضح أنه كان وحيداً ومبتدئاً.

وهكذا يتحقق تماماً([5]) أنه حدثت زيارتان بالفعل: الأولى بعد بدء حياة القديس مقاريوس بشيهيت بثلاث سنوات، كما تقول المخطوطة بوضوح، وكانت لطلب معونة شخصية وحكمة وإرشاد. والثانية تمَّت بعد الأولى بزمان طويل، كما تقول المخطوطة، وذلك من أجل ازدياد حروب العدو عليه، ولأخذ نصائح للرعاية وقيادة النفوس التي تكاثرت حوله، وللإستشارة بخصوص بناء كنيسة مستقلة عن نتريا تكون في وسط شيهيت.

ويظن إڤلين هوايت مع كثير من المؤرخين، ظنّاً خاطئاً، أن في الزيارة الثانية قام أنبا أنطونيوس برسامة أنبا مقار قساً. وهذا يدعو للدهشة والعجب، فكيف يرسم مَنْ ليس أسقفاً قسيساً، حيث أنه معروف أن الرسامة منذ العصر الرسولي لا تتم إلاَّ على يد أسقف؟ ثم أن الكلام الذي تبادله القديسان معاً لا يحتمل أي معنى لتكميل رسامة من أي نوع.

---

(4) Apoph. Pat., XXVI, Macar. Aegypt.

(5) Ev. White, II, p. 68.

ولكن تضيف كل من المخطوطة العربية والقبطية أن في الزيارة الثانية سلّم القديس أنطونيوس «شبوتته»، أي عصاته العتيقة ϣⲃⲱⲧ̀، إلى مقاره تعبيراً عن تسلّمه أمانة التدبير الرهباني من بعده(٦).



تاج عمود من آثار صحن كنيسة أنبا مقار الكبرى

(6) Tischendorf., Travel in the East, p. 51.

الفصل الرابع

علاقة القديس مقاره الوطيدة بنتريا والقلالي
وزيارته للقديس باخوميوس الكبير

١ ـــ توافد الآباء الأوائل إلى شيهيت.
٢ ـــ تردُّد أنبا مقاره على نتريا والقلالي.
٣ ـــ خبر عن زيارته للقديس باخوميوس أب الشركة.

١ ـــ توافد الآباء الأوائل إلى شيهيت

معلوم أن سيرة القديسَيْن مكسيموس ودوماديوس كتبها الشماس الراهب بيشوي (وهو غير القديس بيشوي الكبير) الذي كان يقيم في قلاية بجوار أنبا مقاره الكبير، وقد رُسم شماساً مع أنبا إيسيذوروس القس على الكنيسة التي بُنيت تذكاراً لمكسيموس ودوماديوس، ولهذا اهتم بصفته شماساً على كنيسة مكسيموس ودوماديوس أن يكتب سيرتها بتدقيق ويستودعها الكنيسة. وفي هذه السيرة التي حقَّقها أميلينو، يتضح أن آباء شيهيت الأوائل كانوا من متوحدي نتريا والقلالي، أو كما تقول المخطوطة(١):

[جاءوا إليها من جبل برنوج، ومن منشوبيات المتوحدين (القلالي)، ومن جميع أنحاء مصر].

ومن أقوال الآباء الكثيرة نعلم تماماً أسماء بعض هؤلاء المتوحدين الأوائل الذين نزحوا من نتريا والقلالي، وأقاموا في شيهيت، بمجرد أن اشتهر اسم القديس مقاريوس،

(1) AMEL., AMG, XXV, p. 262, 311.

أمثال :

١ — الأب «أموي» = وهو الأب الروحي ليوحنا القصير وبيشوي ، اللذين كوّنا أول مجموعتين ديريتين معاصرتين للقديس أنبا مقاره ، وأموي كما تقول أقوال الآباء(٢) كان قد تتلمذ في نتريا أولاً على الأب بيتو Pithou .

٢ — الأب إيسيذوروس : وهو أصلاً من متوحدي نتريا وكاهن القلالي ، وقد تعيَّن أول كاهن بشيهيت تحت تدبير أنبا مقاره .

٣ — الأب شيشوي : الذي صار مشهوراً بتعاليمه ونصائحه . وقد نزح من شيهيت بعد ذلك إلى جبل العربة وسكن في قلاية أنبا أنطونيوس بعد نياحته .

٤ — ونقرأ عن آباء من نتريا ظلوا يترددون على شيهيت كل أيام حياتهم ، أمثال مقاريوس الإسكندراني وبامو وبيور(٣) وبشيوس (أخ أنبا بيمن) وإسحق وآمون... إلخ .

٢ — تردُّد القديس مقاره وتلاميذه على نتريا والقلالي

أولاً : زيارته لنتريا :

في مدة إقامة القديس مقاره بشيهيت وحتى زمن زيارته الثانية للأب الكبير أنطونيوس ، لم تكن في شيهيت كنيسة لإقامة القربان(٤). وفي أثناء هذه الفترة التي ربما تكون قد طالت إلى عشر سنوات(٥) أو أقل قليلاً ، كان القديس مقاره هو وتلاميذه يسافرون باستمرار إلى منطقة القلالي ونتريا لحضور الكنيسة والإشتراك في القربان المقدس .

---

(2) Ibid. p. 98.

(3) Ibid. p. 185, 311.

(4) Ibid. p. 76.

(5) Ev. White, II, p. 66.

ويقول بالليديوس إن في المدة التي كان يتردد فيها أنبا مقار باستمرار على نتريا ، والتي طالت إلى عشر سنوات ، اشتهر بين آباء نتريا بالحكمة ورجاحة عقل الشيوخ ، فلقّبوه باللقب الذي اشتهر به بعد ذلك «الشاب الشيخ» = بيداريوجيرون παιδαριογέρων (٦). وتوجد حوادث وأقوال في سيرته وفي أقوال الآباء تفيد كثرة تردُّد أنبا مقار على نتريا منذ بدء حياته حتى إلى أواخر أيام حياته.

ومن القصص التي توضح زياراته الأولى لحضور الصلاة في كنيسة نتريا ، القصة التي تروي كيف قابل فيها هو وتلميذه كاهناً وثنياً في الطريق يجري نحو المدينة ، حيث المدينة هي نتريا (البرنوج)، التي كانت فيها كنيسة نتريا ، كما كان فيها هيكل للوثنيين :

[قيل أن أبا مقاريوس المصري ذهب في إحدى المرات من الإسقيط إلى جبل نتريا ، ولما اقترب من مكان مُعيَّن قال لتلميذه : «تقدَّمني قليلاً» . ولما فعل التلميذ هذا قابله كاهن وثني كان يجري حاملاً بعض الخشب ، وكان الوقت حوالي الظهر. فصرخ فيه الأخ قائلاً : «يا خادم الشيطان ، إلى أين أنت تجري؟» ، فاستدار الكاهن وانهال عليه بضربات شديدة ، وتركه ولم يُبق فيه سوى قليل نفس (لعله هو يوحنا تلميذ مقاريوس الذي تجذَّم بسبب مخالفته لأبيه). ثم حمل الكاهن الوثني ما معه من خشب وسار في طريقه. ولما ابتعد قليلاً ، قابله الطوباوي مقاريوس في الطريق وقال له : «فلتصحبك المعونة يا رجل النشاط» ، فاندهش الكاهن وأقبل نحوه وقال : «أي شيء جميل رأيته فيَّ حتى حييتني هكذا؟» . فقال الشيخ : «إني أرى أنك تكدُّ وتتعب ، وإن كنت لا تدري لماذا» . فأجاب الكاهن : «وأنا إذ تأثرت بتحيتك عرفت أنك تنتمي إلى الإله العظيم ، ولكن هناك راهباً شريراً صادفني قبلك ولعنني ، فضربته ضرب الموت» . فعرف الشيخ أنه تلميذه . أما الكاهن فأمسك بقدمي مقاريوس الطوباوي ، وقال له : «لن أدعك تمضي حتى تجعلني راهباً» . وإذ سارا معاً

(6) Hist. Laus., ch. XVII.

وصلا إلى المكان الذي كان فيه الأخ مطروحاً، وحملاه وأتيا به إلى كنيسة الجبل. أما الإخوة فعندما رأوا الكاهن الوثني مع المغبوط مقاريوس تعجّبوا كيف تحوّل عن الشر الذي كان فيه. وأخذه أبا مقاريوس وجعله راهباً، وعن طريقه صار كثيرون من الوثنيين مسيحيين.] (٧)

وكان أبّا مقاريوس الطوباوي يقول:
«إن الكلمات الشريرة والمتكبرة تحوّل الناس الأخيار إلى أشرار. ولكن الكلام الطيّب المتواضع يحوّل الأشرار أخياراً.» (٨)

كذلك من القصص التي تكشف اهتمام القديس بالذهاب دائماً إلى نتريا لحضور القدّاسات، القصة التي ذُكر فيها: [جاء مرة القديس مقاره من شيهيت إلى نتريا لحضور تقدمة القربان للأب بيمن.] (٩)

ويعتقد بعض المؤرخين أن هذا القداس كان مُقاماً تذكاراً لنياحة أنبا بيمن، ولكن القصة في ترجمتها اللاتينية المبكرة تفيد بوضوح أنه قداس عادي كان يقيمه أنبا بيمن بنفسه (١٠).

كما يعتقد بعض المؤرخين أن ذهابه للإشتراك في القربان المقدس في كنيسة نتريا يفيد أنه لم يكن قد رُسم كاهناً بعد، ولكن الحقيقة هي أن مقاره كان باستمرار يشترك في الأسرار دون أن يقوم هو بنفسه بتقديمها، حتى و بعد إقامة كنيسة في شيهيت.

ثانياً: زيارته لمنطقة القلالي:

أما زيارته لمنطقة القلالي (نيري أو نيرس) ومكانته الكبيرة بينهم، فتتضح من

(7) AMEL., AMG, XXV, pp. 211-212.
(8) Ibid. p. 213.
(9) Apoph. Pat., Mac. Aegypt., 11.
(10) Migne PL, LXXIII, Col. 1006.

القصة التي تبدأ هكذا:

[أتى الأب مقاريوس يوماً من الإسقيط إلى نيرس، فقال له الشيوخ: قُلْ كلمة للإخوة أيها الأب. فأجابهم قائلاً: أنا لم أصر بعد راهباً، لكني رأيت رهباناً. فقد كنت يوماً جالساً في الإسقيط في القلاية وإذا أفكارٌ تأتيني قائلة: اذهب إلى البرية الداخلية وتأمل فيما تراه هناك. ومكثت مقاتلاً لهذا الفكر خمس سنوات، ظاناً أنه من الشيطان. لكني لما وجدت الفكر ثابتاً مضيت إلى البرية. فصادفت هناك بحيرة ماء، وفي وسطها جزيرة، وقد وافت وحوش البرية لتشرب. وشاهدت بينها رجلين مجرَّدين (عاريين)، فجزعت منهما، لأني ظننت أنهما روحان. لكنهما لما رأياني خائفاً جزعاً، خاطباني قائلين: لا تجزع! فإننا بشريان مثلك. فقلت لهما: مَنْ أنتما؟... ومن أين أنتما؟ وكيف جئتما إلى هذه البرية؟ فقالا لي: «كنا في كنونيون، وقد اتفقنا على ترك العالم فخرجنا إلى ههنا. ولنا منذ مجيئنا إلى هنا أربعين سنة». وقد كان أحدهما مصرياً والآخر نوبياً، فسألتهما: كيف أصير راهباً؟ فقالا لي: إن لم يزهد الإنسان في كل أمور العالم فلن يستطيع أن يصير راهباً. فقلت لهما: إني ضعيف فما أستطيع أن أكون مثلكما. فقالا لي: إن لم تستطع أن تكون مثلنا، فاجلس في قلايتك وابكِ على خطاياك. فسألتهما: أما تبردان إن صار شتاء؟ وإذا صار حر أما يحترق جسداكما؟... فأجاباني: إن الله قد دبر لنا ألا نجد في الشتاء برداً ولا يضرُّنا في زمن الحصاد حرٌّ. ثم سألاني: كيف حال العالم؟ هل ما زال النيل يصعد في وقته؟ وهل الدنيا بخير كما كانت سابقاً؟ فأجبتهما: نعم.

وأخيراً قال القديس للإخوة: لذلك قلت لكم إني لم أصر بعد راهباً! بل رأيت رهباناً، فاغفروا لي.](١١)

---

(١١) بستان الرهبان طبعة ١٩٥٦ ص ١٥ وما بعدها.

---

(11) Apoph. Pat., Mac., 11.

ثالثاً: زيارته الأخيرة لنتريا والقلالي:

ومن القصة المشهورة التي وردت عن زيارة أنبا مقار لنتريا، وهو في أواخر أيام حياته، وقد بلغ التسعين من عمره تقريباً، بدعوة من شيوخ نتريا؛ يتضح بصورة قاطعة أن علاقة أنبا مقار بنتريا والقلالي توطّدت على مدى الأيام، لأن القديس مقار صار بالفعل أب آباء كل نتريا والقلالي وشيهيت، وهذا يتضح من الكلمات التي أرسلها شيوخ نتريا إليه:

[حدث مرة أن شيوخ نتريا (البرنوج) أتوا إلى أنبا مقاره يقولون له سر إلينا لنشاهدك قبل أن تنصرف إلى الرب، ولا تضطر الشعب كله إلى المجيء إليك فيتعبك. فلما سار إلى الجبل اجتمع إليه الشعب كله وطلب إليه الشيوخ قائلين: قُلْ للشعب كلمة أيها الأب. فقال: يا أولادي... لنبكِ أيها الإخوة، ولتَسِلْ دموعنا من أعيننا، قبل أن نمضي إلى حيث تحرق دموعنا أجسادنا بدون نفع، فلما قال هذا بكى وبكى الكل معه، وخرُّوا على وجوههم قائلين: أيها الأب صلِّ علينا.](١٢)

وقد ألقى القديس أنبا مقار في هذه الزيارة خطابه المطوَّل الشهير الذي سوف نفرد له مكاناً خاصاً من هذا الكتاب.

٣ ـــ خبر عن زيارة القديس أنبا مقاره للقديس باخوميوس أب الشركة

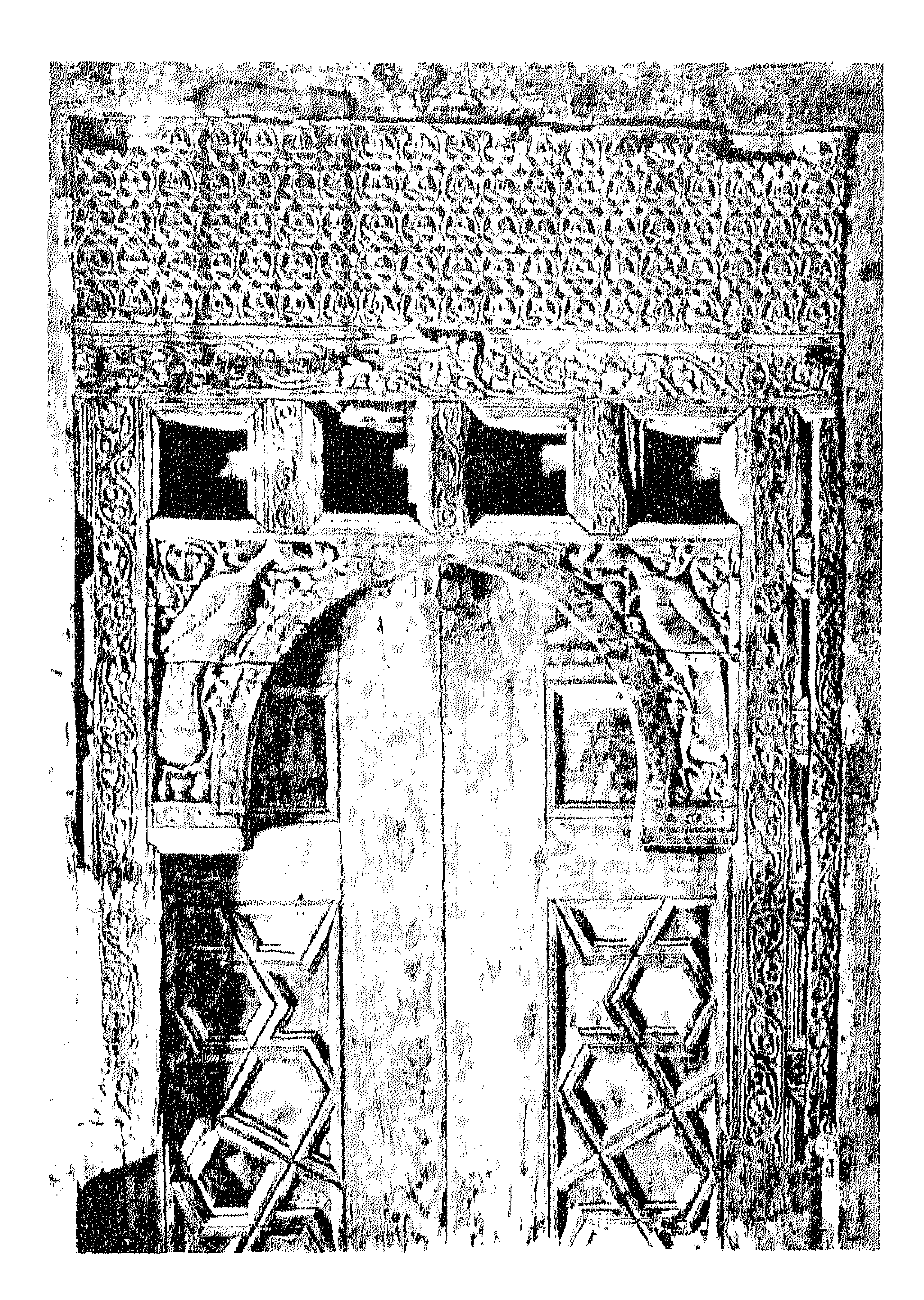
وفد في بعض الأيام الأب مقاريوس الكبير إلى الأب باخوميوس زائراً وفيما هما يتفاوضان في أقوال الله شاور الأب باخوميوس الكبير مقاريوس قائلاً: أيها الأب عندي ههنا إخوة سيرتهم على غير نظام فتأديبهم جيد هو أم لا. فأجابه الأب مقاريوس: أدِّب واحكم حكماً عادلاً في الذين تحت يدك فأما على غير هؤلاء فلا لأنه قد كُتب احكموا على

---

(12) Apoph. Pat., Mac. Aeg., XXXIV.

الداخلين والذين خارج الرب يحكم عليهم (١٣).

(١٣) المخطوطة العربية المطبوعة لسيرة أنبا باخوميوس، ص ١٣١.



الحصن: كنيسة العذراء، بالطابق الثاني

صورة باب الحجاب الأوسط للهيكل الرئيسي، وفيه يظهر بوضوح رسم طاووسين على جانبي قائم الباب، ومعروف أن الطاووس يرمز للخلود.

وإذا دقق الناظر، يجد تحت ذيل الطاووس كأساً هو كأس الحياة للدم المقدس الذي تخرج منه كرمة تمتد حتى منقار الطاووس الذي يبدو كأنه يأكل من ثمرها. وهذا كله يشير إلى أن الحياة الأبدية التي نبعت لنا من كأس دم المسيح لا يزال يشرب منها الإنسان جيلاً بعد جيل.

الفصل الخامس
شخصية القديس وصفاته

١ — جدِّيَّة القديس وتحفُّظه.
٢ — قدرة فذَّة على ستر عيوب الآخرين.
٣ — تسامح مرتفع الأبوة.
٤ — طول أناة القديس وقصة مكسيموس ودوماديوس.
٥ — صرامة القديس مع المتعظمين بعلمهم.

١ — جدِّية القديس وتحفُّظه

يقول سقراط المؤرخ(١)، إن فضائل المقارَيْن كانت متشابهة للغاية إلاَّ هذا الفارق الوحيد، وهو أن مقاريوس المصري كان ذا هيبة، و بنوع ما صارماً مع الذين كانوا يقصدونه، بينما أن مقاريوس الإسكندري كان مَرِحاً جداً في حديثه، لأن المحبة الفائقة التي كانت لمقاريوس المصري من نحو السكون جعلته أقل انفتاحاً وأكثر تحفُّظاً في الحديث. ولكن بالتأكيد لم يكن القديس يُظهر أبداً أي نقص في المحبة تجاه الذين كانوا يلجأون إليه، وإن كانت محبته أكثر جدية، إلاَّ أنها لم تكن أقل وداعة ولا أقل رأفة. وليس أدل على ذلك من القول الذي جاء في أقوال الآباء:

[قال الأب بيتر: بينما كان الأب مقاريوس يتباسط مع الإخوة ويتحدث معهم ببساطة قلب وعدم كلفة، بادره أحد الإخوة: «لماذا تعمل في نفسك هكذا؟». فما كان من الأب مقاره إلاَّ أن قال له: «على مدى اثني عشرة سنة وأنا أخدم

---

(1) Socr., 4:23.

أمام الله طالباً هذه النعمة وأنتم تريدون مني أن أتخلّى عنها الآن؟»](٢)

٢ ـ قدرة فذّة على ستر عيوب الآخرين

وكان يُقال(٣) أن مقاريوس كان يعيش كإله على الأرض، فكما أن الله يستر على الجميع ويحتمل خطايا البشر، هكذا كان هذا القديس يستر خطايا وعيوب إخوته. بل قيل أنه كان يراها كما لو لم يكن قد رآها، وأنه كان ينصت إلى ما يُقال إليه، وكأنه لم يكن قد سمع شيئاً.

(٤) ويحكى عن القديس مقاريوس، إنه كان في بعض القلالي أخ صدر منه أمر شنيع، وسمع به الأب مقاريوس، ولم يرد أن يبكّته. فلما علم الإخوة بذلك لم يستطيعوا صبراً، فما زالوا يراقبون الأخ إلى أن دخلت المرأة إلى عنده. فأوقفوا بعض الإخوة لمراقبته، وجاءوا إلى القديس مقاريوس. فلما أعلموه قال: « يا إخوة لا تصدّقوا هذا الأمر، وحاشا لأخينا المبارك من ذلك». فقالوا: «يا أبانا، اسمح وتعالَ لتُبصر بعينيك حتى يمكنك أن تصدّق كلامنا». فقام القديس وجاء معهم إلى قلاية ذلك الأخ كما لو كان قادماً ليُسلّم عليه. وأمر الإخوة أن يبتعدوا عنه قليلاً. فما أن علم الأخ بقدوم الأب حتى تحيّر في نفسه، وأخذته الرعدة؛ وأخذ المرأة ووضعها تحت ماجور كبير عنده (لخزين القمح). فلما دخل الأب جلس على الماجور، وأمر الإخوة بالدخول؛ فلما دخلوا وفتّشوا القلاية لم يجدوا أحداً، ولم يمكنهم أن يوقفوا القديس من على الماجور. ثم تحدّثوا مع الأخ، وأمرهم بالإنصراف. فلما خرجوا، أمسك القديس بيد الأخ وقال: «يا أخي، على نفسك أحكمْ، قبل أن يحكموا عليك، لأن الحكم لله». ثم ودّعه وتركه. وبينما هو خارج إذ بصوت أتاه قائلاً: «طوباك يا مقاريوس الروحاني، يا مَنْ تشبّهت بخالقك، تستر

(2) Apoph. pat. Mac., Aegypt., IX.

(3) Ibid., XXXII.

(٤) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ١٣٢.

العيوب مثله». ثم أن الأخ رجع إلى نفسه، وصار راهباً حكيماً مجاهداً و بطلاً شجاعاً

٣ — تسامح مرتفع الأبوّة

(٥) وقيل أن راهبين من الإسقيط اتُّهما بغلطة، فحرمهما القديس مقاريوس الإسكندري، الأمر الذي جعلهما يصمِّمان على العودة إلى العالم. ولما عرف مقاريوس المصري بأمرهما أرسل في إحضارهما، فأكَّدا له أنهما بريئان مما نُسِب إليهما. وإذ أراد القديس أن يوبِّخ القديس مقاريوس الإسكندري على هذه الغلطة إذ كان يحبه؛ كان يقول إن هذين الراهبين ليسا هما المقطوعين من الشركة، بل الذي قطعهما. فلما عرف القديس مقاريوس الإسكندري أن القديس مقاريوس المصري قد حرمه، انطلق من شدة الألم إلى بِرْكة (النترون) حيث نهشه البعوض(٦). ولما ذهب مقاريوس المصري إلى البِرْكة قابله وهو في هذا الحال، فمدحه لأنه بعد أن حرمه تعمَّق في الوحدة أكثر، بينما صمَّم الراهبان الآخران بعد حرمهما على تركها. وأوصاه أن ينتبه لئلا ينخدع بالشيطان مرة أخرى، وأن يقدم توبة عن الغلطة التي صنعها بمعاملة الإخوة بهذه القسوة بدون أن يتأكَّد بنفسه من الخطية التي اتُّهما بها. فطلب إليه مقاريوس الآخر أن يضع عليه قانون توبة. فلما رأى القديس الهدوء الذي قَبِل به مقاريوس الإسكندري التوبيخ، أمره بالبقاء ثلاثة أسابيع فقط بدون أن يأكل سوى مرة واحدة في الأسبوع — الأمر الذي لم يكن سوى نظامه المعتاد.

(٧) ويُنسب للقديس مقاريوس الكبير هذا القول الجميل في وداعته: «الراهب الحقيقي هو الذي يضبط نفسه في كل شيء. فإن كنتم وأنتم في طريقكم لتبكيت أخ تسقطون في الغضب، فأنتم تُكمِّلون هوى أنفسكم أكثر مما تصنعون المحبة. فتحفَّظوا من

(5) AMEL., AMG, XXV, pp. 222-225.

(6) Boll., 15 Jan.

(7) Boll.; Cotel., Vita. Pat. V:4 & 28, III, 87.

هذا الخطأ، لأنه لا يجب أن يهلك الإنسان نفسه في سبيل خلاص آخر».

(٨) وله في ذلك قول مأثور؛ قال الأب مقار يوس: «إن كنت في حال ردعك غيرك تحرد وتغضب، فأولى بك أن تشفي ألَمك أولاً، لأنه لا يليق أن تهتك نفسك لتُخلِّص غيرك».

(٩) ولإتضاع القديس مقاره، الذي يُقال أنه كان يلبس الإتضاع كالثوب بواسطة روح الله، أراد أن يتعلم من راهب شاب في الإسقيط يُدعى «زكريا» عن ما هو واجب الراهب. فأجابه زكريا: «أي يعامل الإنسان نفسه بشدَّة في كل شيء».

(١٠) (حيث أن القانون الأول للمسيحية هو المحبة)، فإنه يُذكر عن القديس مقاريوس أنه لما قصد رؤية متوحد ووجده مريضاً ولم يكن عنده شيء في القلاية، فسأله عمَّا يريد أن يأكل، أجابه إنه يتمنى أن يأكل قليلاً من الحلوى، فذهب القديس المملوء من كل سخاء المحبة، مسرعاً إلى الإسكندرية وأحضر له منها ما يتمنَّاه.

(١١) ويُذكر عن وداعة القديس مقاره ما حدث أثناء ذهابه ذات مرة من الإسقيط إلى جبل نتريا وأمره لتلميذه أن يتقدَّمه قليلاً ومقابلته للكاهن الوثني، ودعة حديثه معه الأمر الذي قاده في النهاية أن يصير راهباً (كما ورد في القصة المنشورة في الفصل الرابع: علاقة القديس مقاره الوطيدة بنتريا).

٤ ــ طول أناة القديس، وقصة مكسيموس ودوماديوس

حدثنا الأب بيچيمي أن بافنوتيوس تلميذ أنبا مقاره قال له:

---

(٨) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ١٣١.   AMEL., AMG, XXV, p. 217.

(9) Boll.; Cotel., Vita. Pat. III, 127; Apoph. Pat., Mac. Aeg., XXXIX.

(10) Ibid.

(11) Ibid.

قال الأب مقاره:

[حدث يوماً وأنا جالس بالإسقيط أن أتاني شابان غريبان. أحدهما متكامل اللحية، والآخر قد بدأت لحيته. فقالا لي: «أين قلاية الأب مقاره؟» فقلت لهما: «وماذا تريدان منه؟» أجاباني: «نريد مشاهدته». فقلت لهما: «أنا هو». فصنعا مطانوه وقالا: «يا معلم، نشاء أن نقيم عندك». فلما وجدت أنهما في حالة ترف ومن أبناء نعمة وغنى، أجبتهما: «لكنكما لا تحتملان السكنى ههنا». فأجابني الأكبر قائلاً: «إن لم نحتمل السكنى ههنا فإننا نمضي إلى موضع آخر». فقلت في نفسي: «لماذا أنا أطردهما؟ أنا أتركهما لعل شيطان التعب يشككهما في ما عزما عليه». فقلت لهما: «هلما فاصنعا لكما قلاية إن قدرتما». فقالا: «أرنا موضعاً يصلح». فأعطيتهما فأساً ومقطفاً وكذلك قليلاً من الخبز والملح، وأريتهما صخرة صلبة (صخرة شيهيت المشهورة الآن بقارة أولاد الملوك). وقلت لهما: «إنحتا هنا لكما مغارة، وأحضرا لكما خصاً من الغابة وسقّفا واجلسا»، وتوهّمت أنهما سوف ينصرفان من شدة التعب. فسألاني: «وماذا تصنعون ههنا؟» فقلت لهما: «إننا نشتغل بضفر الخوص». وأخذت سعفاً وأريتهما بدء الضفيرة وكيف تُخاط، وقلت لهما: «اعملا زنابيل وادفعاها إلى الخفراء ليأتوكما بخبز». وعرَّفتهما ما يحتاجان من معرفة، ثم انصرفت عنهما أما هما فأقاما ثلاث سنوات ولم يأتياني. فبقيت مُقاتَل الأفكار من أجلهما إذ لم يأتيا إليَّ ولا سألاني في شيء. ولم يحاولا الكلام مع أحد قط، ولم يبارحا مكانهما إلاَّ كل يوم أحد فقط، حيث كانا يمضيان إلى الكنيسة لتناول القربان وهما صامتان. فصليت صائماً أسبوعاً كاملاً إلى الله ليعلن لي أمرهما. و بعد الأسبوع مضيت إليهما لأفتقدهما وأعرف كيف حالهما؛ فلما قرعت الباب عرفاني وفتحا لي وقبّلاني صامتين؛ فصليت وجلست. وأومأ الأكبر إلى الأصغر بأن يخرج، أما الأكبر فجلس يضفر في الضفيرة ولم يتكلم قط، فلما حانت الساعة التاسعة، أومأ إلى الشاب فأتاه؛ وأصلحا مائدة وجعلا عليها ثلاث خبزات بقسماطات (كانت هي

الخبـز المعتاد لرهبان مصر) وداما صامتين. فقلت لهما: «هيا بنا نأكل». فنهضا وأكلـنـا، وأحـضـرا كـوز ماء فشربنا. ولما حان المساء، قالا لي: «أتنصرف؟» فـقـلـت لهما: «لـن أنـصرف، لكني سوف أبيت ههنا الليلة». فبسطا حصيرة في نـاحـيـة و بـسـطـا أخرى لهما في ناحية أخرى، وحلاً إسكيمَيْهما ومنطقتَيْهما ورقدا أمامي على الحصيرة. فصلَّيت إلى الله أن يعلن لي ماذا يعملان. وإذ كنت راقداً، ظـهـر فـجـأة في الـقـلايـة ضوء كضوء النهار — وكأن سقف القلاية قد انفتح — وكـانا يشاهدانه. فلما ظنَّا أني نائم، نخس الأكبر الأصغر وأقامه؛ وتمنطقا و بسطا أيـديهما إلى السماء، وكنت أراهما وهما لا يبصرانني وإذا بي أرى الشياطين مقبلين نحـو الأصـغـر كـالـذبـاب؛ فمنهم مَن كان يريد أن يستقر على فمه، ومنهم مَن كان يـريـد أن يـسـتـقر على عينيه؛ فرأيت ملاك الرب حاملاً سيفاً نارياً وهو يحيط بهما ويـطـرد الـشـيـاطين عنهما. أما الأكبر فلم يقدروا على الإقتراب منه. وما أن حان الـفـجـر حتى وجدتهما وقد انطرحا على الأرض وناما. فتظاهرت كأني استيقظت، وهمـا كـذلـك. فـقـال لي الأكبر هـذه الكلمة فقط: «أتشاء أن نقول الإثني عشر مزموراً؟» فـقلت: «نعم». فقرأ الصغير خمسة مزامير، وفي نهاية كل مزمور ست آيـات (مـن مـكـان آخـر في الـكـتـاب المقدس)، وهللويا؛ ومع كل كلمة كان يقولها، كان يبرز من فمه شهاب نار يصعد إلى السماء؛ كذلك الكبير إذ كان يفتح فـمـه ويـقـرأ، كـان مـثـل حبل نار خارجاً وصاعداً إلى السماء. فلما انقضت الصلاة انـصـرفـت قائلاً: «صلِّيا من أجلي». فصنعا لي مطانية وهما صامتان. و بعد أيام قليلة تنيح الأكبر وفي ثالث يوم تنيح الأصغر كذلك].

ولـمـا كـان الآباء يجتمعون بالأب مقاره، كان يأخذهم إلى قلايتهما، ويقول: «هلموا نعاين مكان شهادة الغرباء الصغار.»[12]

---

(١٢) هـذه الـتـسـمـيـة تعني هيكلاً صغيراً مُقاماً فوق أجساد مقدسة وتسمى مارتيريا μαρτυρία باللغة اليونانية ولا يستلزم ذلك أن تكون أجساد شهداء.

وقد فسَّر القديس فيلوكسينوس في كتابه المعروف بتفسير البراديسوس، صفحة ٦٠، مسلك هذين الأخوين، و لماذا لم يمضيا إلى القديس مقاريوس في الإسقيط ثلاث سنوات، فقال: «لأن الكبير كان عاملاً كاملاً متضعاً، ولو كان قد مضي إليه لظهر كماله فكان يمجّده، وأما الصغير فكان يتعلم من الكبير».

٥ ــ صرامة القديس مع المتعظمين بعلمهم

(١٣)[جاء مرة الراهب أُغريس (إيفاجريوس البنطي الأوريجاني) إلى القديس أنبا مقار وسأله كلمة منفعة، فقال له أنبا مقار: إذا قلت لك، هل تسمع لي؟ (لِعِلْم القديس أن هذا الراهب متمسك بحكمته). فقال أُغريس: إن إيماني بك ومحبتي لك أنت تعلم بهما! فقال له أنبا مقار: إنك حقاً تحتاج أن تتزيّن بالفضيلة، ولكن الأحسن لك، إن كنت تستطيع، أن تطرد عنك فخر الحكمة العالمية وتتمسك باتضاع العشار، وأنت تحيا. فقال أُغريس: إنه لما قال لي هذا عملت له مطانية وانصرفت، وكنت أقول في نفسي إن أفكاري مكشوفة لأنبا مقار رجل الله، وكنت في كل وقت أقابله أرتعد من حُكمِه الذي سمعته منه.](١٤)

(13) AMEL., AMG, XXV, p. 157.

(١٤) وهنا تتكشف حقيقة الراهب أوغريس الأوريجاني على حقيقتها بكل وضوح و بلا مواربه.

الفصل السادس
الحياة التقشفية للقديس مقاره

١ ــ الخبز بالوزن والماء بالكيل.
٢ ــ جسم نحيل ووجه شاحب من شدة مخافة الله.
٣ ــ محبة العوز.
٤ ــ يعمل بيديه و يبيع شغله بنفسه و يشتغل كأجير.
٥ ــ صيام يوم عن كل كأس نبيذ حتى لا يُبطل عمل المحبة.

١ ــ الخبز بالوزن والماء بالكيل

يقول باللاديوس (١):

[من العبث أن نتكلم عن امتناع القديس مقاره عن الأكل والشرب، ما دام أن أكثر الرهبان تهاوناً وأكثرهم قرباً من الأماكن المأهولة لم يسلّموا أنفسهم لسيطرة الشره. وهذه الرذيلة بالأكثر هي غير معروفة في البرية، لندرة الأشياء و بسبب الغيرة الإلهية التي تُلهبهم وتدفعهم إلى أن يتفوّقوا جميعاً في مختلف أنواع التقشفات التي كانوا يمارسونها].

وإن في قصة عنقود العنب (٢) الذي دار على جميع الإخوة في البرية دون أن يُفقَد منه حبة واحدة، لأعظم برهان على مستوى التقشُّف العجيب الذي كان يسود على البرية، بفضل تعاليم القديس مقاريوس ونموذج حياته.

(1) Laus., Ch. 19.
(2) Apoph. Pat., 25.

وأورد هذه القصة سقراط [٣]، عن إيفاجريوس البنطي الذي تتلمذ على القديس مقاريوس الإسكندري (حوالي عام ٣٨٥م). يقول إيفاجريوس:

[كنت ذات يوم في صحبة القديس أنبا مقار الكبير في ساعة الظهيرة. و بينما كنت أتحرَّق من شدة العطش استأذنت منه لأشرب ماءً. فأجابني: اكتفِ بالبقاء في الظل، لأنه يوجد الآن كثير من الناس مسافرون بالبر أو بالبحر ومحرومون حتى من الظل المتوفر أمامك. و بينما كنت أحدِّثه عن الإماتة، قال لي: لقد أمضيت عشرين عاماً كاملاً لم أكمِّل إرادتي في الأكل والشرب والنوم، فما كنت أتناول الخبز إلاَّ بقدر، والماء كنت أشر به بالكيل، أما النوم فكنت أسترقُ القليل منه باستنادي على الحائط على قدر حاجة الجسد.][٤]

[وكان تدبيره العادي أنه لا يأكل سوى مرة واحدة في الأسبوع].

٢ — جسم نحيل ووجه شاحب من شدة مخافة الله

[٥] وكان وجهه وجسمه (النحيل) يكفيان لإظهار شدة تعففُّه ونسكه، مع أن الأصوام لم تكن هي السبب الوحيد لنحافة جسده، بل هذا أيضاً كان نتيجة لمخافة الله التي امتلأت بها نفسه فأضمرت، بل وأحرقت، بنوعٍ ما، كل جسده[٦].

٣ — محبة العوز

جاءه بعض النسَّاك مرة ليروه في الإسقيط، فلم يجدوا في قلايته أي شيء من متاع الدنيا. وحتى الماء الذي يشرب منه وجدوه منتن الرائحة، فأرادوا أن يأخذوه إلى بلده لأجل تقويته (وتزويده بالأمور الضرورية)، ولكنه عرَّفهم جيداً بأنه يحب هذا العوز،

(3) Socrates, Ecc. Hist., IV, XXIII.

(4) Boll., 15 Jan.

(5) AMEL., AMG, XXV, p. 205.

(6) Vit. Pat., 5:3.

وأنه لو كان يريد تلك الضروريات ، فإنه يعلم جيداً أين يطلبها بدون الإلتجاء لطلب معونتهم .

٤ ـ يعمل بيديه ، و يبيع شغله بنفسه ، و يشتغل كأجير

وكان يعمل طول النهار في قطع الخوص(٧). ويظهر بالأكثر تقشُّفه واتضاعه في أنه كان يحمل بنفسه من الإسقيط القفف والمقاطف التي كان يصنعها ، ليبيعها في ترنوت على ضفة النيل. ومرة وجد نفسه متعباً تحت هذا الثقل ، حتى إنه اضطر إلى أن يجلس على الأرض ، وإذ كان ما يزال بعيداً عن النهر خاطب الله قائلاً(٨) : [يا رب أنت تعلم أنه ما عاد فيَّ قوة . وللوقت وجد نفسه على شاطىء النهر]. ومعروف أن القديس مقاريوس كان ينزل كل سنة مع النسَّاك في زمان الحصاد ليعمل كأجير في الحقول ليبتاع قُوتَه .

٥ ـ صيام يوم عن كل كأس نبيذ

(٩) ولوحظ أيضاً عن القديس مقاريوس أنه حينما كان يأكل مع النسَّاك كانوا يقدمون له بعض النبيذ، فكان يشرب ما يُقدَّم له ، ولكنه بعد ذلك كان يضع على نفسه قانوناً بأن يصوم عن الماء أياماً بقدر عدد أقداح النبيذ التي شربها . وبهذا بينما كان الإخوة يُسرُّون بأن يقدِّموا له ظانين أنهم يشدِّدونه ، كان هو يأخذ منهم لتكون فرصة أكثر للإماتة. ولكن تلميذه لما لاحظ أسلوبه هذا ، استعطف الآخرين ألا يقدموا له نبيذاً ، لأنهم كانوا يسببون له بهذا تعباً . ومنذ ذلك الحين امتنعوا عن تقديم النبيذ له .

* * *

(7) Vit. Pat., 3:212, 6:2.

(8) Boll., 6.

(9) Apoph. Pat., Mac. Aegypt., X. & AMEL., AMG, XXV, p. 206.

وكاسيان رأى أن أفضل خاتمة لكتابه الخامس هي أن يذكر هذه النصيحة عن القديس مقاريوس: [يجب على الناسك أن يجتهد في الصوم، كما لو كان متأكداً أنه سيعيش مائة عام؛ وأن يضبط شهوات نفسه ويتناسى الإهانات ويقاوم الكآبة ويحتمل الأتعاب والآلام، كما لو كان سيموت في اليوم نفسه]. فالفكرة الأولى تجعل الناسك حكيماً حاذقاً، وتجعله يحرص على الإنتظام الصارم في النسك بدون أن يسمح لنفسه بالتهاون، بحجة ضعف الجسد؛ بينما اعتبار الموت القريب يلهمه السمو الروحي بالإيمان الذي لا يقتصر على احتقار راحة الدنيا فقط، بل ويجعله راسخاً في احتمال المشقات لأنه سيثبت قلبه ونظره دائماً إلى السماء نحو المكان الذي يترقَّبه كل حين، مؤمناً أنه سوف يُدعى إليه.

أما كلام القديس مقاره نفسه فيكشف بكل وضوح قيمة ودرجة التقشف الذي كان يعيشه، ففي النسخة العربية لكتاب بستان الرهبان، يقول القديس في وصية لأولاده[10]: «إن الراهب الذي يقتني أكثر من جبَّة لا يساوي عند المسيح جِبَّة، لأن محبِّي المسيح الذين تركوا نعيم الدنيا ولذَّاتها تصبح منزلة العالم عندهم كمنزلة العُوَيْد الصغير، فلا يتألمون على فقد شيء منه. إن الإنسان الذي يأسف على فقدان شيء منه فليس بكامل بعد. فإن كنا قد أُمرنا أن نرفض أنفسنا وأجسادنا، فكم بالحري المقتنيات؟ إن الشياطين تحترق بهذه الفضيلة وأمثالها عندما يرون إنساناً غير ملتفت إلى الأشياء وليس بمتأسِّف عليها إذا فقدها، لا سيَّما إذا علموا أنه يمشي على الأرض بغير هَوَى أرضي».

[11] وقال بعض الآباء للقديس مقاريوس: «هوذا جسدك قد يبس من قِلَّة الأكل والصمت». فأجابهم الشيخ: «حسناً، فإنه مكتوب قد يبست عظامي (من زفيري اليوم كله)، فإن الشجرة إذا قبلت قوة النار في طبيعتها، فإنها تجف ثم تشتعل؛ وهكذا إذا قَبِل

---

(١٠) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٢٢.

(11) Apoph. Pat., II, p. 294, S. 352.

قلب الإنسان خوف الله فإنه يتنقّى، إذ تجف الشهوات من طبيعة الجسد (وحينئذ يشتعل بحب الله)».

(١٢) أما وجهة نظر القديس مقاره في أهمية التقشُّفات الجسدية بالنسبة للحياة الروحية، فتظهر من قوله: «اسعَ لكل نوع من الإماتة، فإذا لم يكن لك الإماتة التي بالروح فاسعَ إلى إماتة الجسد، حينئذ تُعطى لك التي بالروح، فتموت عن كل إنسان؛ وحينئذ تستطيع أن تصل إلى موهبة الوجود الدائم مع الله في السكون».

(١٣) ولم يقتصر التقشف عند القديس مقاره على الأكل والشرب فقط بل على كل شيء... حتى على اقتناء الكتب الروحية نفسها. فقد [حُكِيَ عن القديس أن أتاه الأب ثيئوذور البرامي(١٤) (الذي كان يمتلك بعضاً من الكتب الثمينة) وقال له: «يا أبي عندي ثلاثة كتب ذات منفعة لي، كما أن الإخوة يستعيرونها مني وينتفعون بها أيضاً، فالآن أخبرني ماذا أعمل بها؟» فأجابه الشيخ: «إن أعمال النسك حسنة، لكن أعظمها جميعاً هو الفقر الإرادي». فلما سمع أبا ثيئوذور هذا الكلام ذهب، وباع الكتب وأعطى ثمنها للفقراء].

وقصة اللصوص الذين سرقوا قلايته فساعدهم هو بنفسه على سرقتها دليل عملي على ذلك.

وعلى مدى أقوال الآباء وسيرهم يلحظ القارىء بسهولة صورة هذا الأب الفاضل المجاهد، تارة حاملاً خوصه من البهلس إلى قلايته(١٥)، وتارة حاملاً قففه وسائراً بها ليبيعها في ترنوط (سوق شيهات) على سفر يومين(١٦)، وتارة نازلاً مع الإخوة (الأب

(12) Apoph. Pat., p. 252, S. 172.

(13) Apoph. Pat., p. 46, S. 161.

(١٤) ويسمَّى خطأً ثيئوذور الفرمي، ولكنه ليس من الفرما بل من البراما وهي منطقة الأهرامات بالجيزة الآن.

(15) Apoph. Pat., Mac. Aegypt. IV.

(16) Apoph. Pat., Mac. Aegypt. XIV.

شيشوي هنا هو الرواي) ليعملوا فَعَلة في حصاد القمح(١٧)!! حتى وفي زيارته لأنبا أنطونيوس، وفي نفس ليلة وصوله جلس يجدل الضفيرة حتى الصباح، وكان محصول عمله ضعف محصول أنبا أنطونيوس، مما أدهش الأب الكبير أنطونيوس وجعله يُقبِّل يدي مقاريوس ويقول: إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين!!

(١٨) ويدعو القديس فيلوكسينوس المنبجي أولاده أن يذكروا نسك الطوباني أنبا مقار، أنه مدة عشرين سنة لم يشبع هذا المجاهد لا من خبز ولا من ماء ولا من نوم. كمثل ما قال: «خبزي كنت آكله بالميزان، ومائي كنت أشربه بالكيل. وكنت أخطف قليلاً من النوم وظهري مسنود للحائط. وهكذا كنت أستيقظ». ثم يتساءل: أي أجر صار للطوباني مقاريوس من هذا النسك المتعب؟ إنه صار إلهاً ثانياً على الأرض بين الناس، لأنه كما أن الله يظلل على الشعب، هكذا هو أيضاً كان يحتمل سقطات وضعفات البشر.

كما فسَّر القديس فيلوكسينوس أيضاً كلمات القديس مقاريوس الكبير: «إن كان ليس لك الإماتة التي بالروح، فاسعَ إلى إماتة الجسد وحينئذ تُعطى لك تلك التي بالروح». فقال: «أي إن كنت ما وصلت أن تهتم بالله و بخيراته بعقلك، فاحرص في الأول أن تبعد من الناس بجسدك ولا تتكلم مع الأفكار الشريرة التي تتحرك فيك. وهذا كقول أنبا إشعياء: إن الهدوء يلد الهدوء، يعني أن هدوء الجسد يلد هدوء الذهن، وإن كنت ما تقدر أن تصلي صلاة روحانية، فاحرص أن تقتني صلاة نقية من قلب نقي، فإن كنت ما وصلت إلى هذا، فاحرص في هدوئك على خدمة المزامير وتكميل الصلوات السبع، بالمطانوات الكثيرة».

---

(17) Apoph. Pat., Mac. Aegypt. VII.

(١٨) مخطوطة رقم ١٨ (مصورة).

الفصل السابع

محبة القديس للصلاة والوحدة

١ — في حالة دهش مستمر.
٢ — وجود دائم في الحضرة الإلهية.
٣ — مغارة سرية للخلوة.
٤ — الهروب من الكلام.
٥ — الهروب من الناس.
٦ — الإبتعاد عن المجاملات
٧ — نصيحة العمر.
٨ — الخدمة عدو الوحدة.
٩ — الطموح مبدِّد لهدوء الوحدة.
١٠ — طياشة الفكر تعكّر صفو الوحدة.
١١ — تهيئة النفس للوحدة.
١٢ — الصبر هو قوة الوحدة.
١٣ — عثرة اللسان تفسد الوحدة.
١٤ — أنظر إلى فوق دائماً.

١ — في حالة دهش مستمر

(١) كل تقشُّفات الجسد كانت شيئاً قليلاً بالنسبة لهذا الرجل السماوي، الذي ما كان يُرَى إلاَّ منجذباً بلا توقُّف خارجاً عن نفسه (حالة دهش إلهي)، وكان يتحدث مع الله أكثر مما كان يُفكر في كل ما هو تحت السماء(٢). وإذ طلب بعض الرهبان من

(1) Laus. Hist., 19.
(2) ÀMEL., AMG, XXV, p. 220.

القديس عن أي طريقة للصلاة، أجابهم: [ليس هناك حاجة إلى كلام كثير، بل يكفي أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وتقولوا: «يا رب اصنع معي رحمة. واهْدِنا كما تريد وكما تحب». وإن أصابتنا ضيقة قلنا: «يا رب أعنّا». وتحت ضغط التجربة نقول: «يا إلهي أنت تعلم جيداً ما يلزمنا». وهو لن يتأخر عن معونتنا].

٢ ــ وجود دائم في الحضرة الإلهية

وكان يقول أحياناً: «إن كنا نتذكر الإساءات التي صنعها بنا الناس فإننا نحرم أنفسنا من القدرة على ذكر الله، ولكن بقدر ما نتذكر الإضطهاد الذي يوجّهه ضدنا الشيطان، بقدر ما لا يمكن لأي شيء أن يفصلنا عن الحضرة الإلهية». ويظهر أن هذا هو موجز الحديث الذي كان بين القديس و بين إيفاجريوس، كما سنبينه فيا بعد.

٣ ــ مغارة سرية للخلوة

نجد دليلاً واضحاً على حبه للصمت والصلاة بما سنورده(٣): لما كانت شهرته تجذب نحوه زيارات كثيرة، لم يجد أي وسيلة للخلاص منها سوى أن يحفر بشخصه، وفي وقت طويل، طريقاً تحت الأرض يصل بين مغارته إلى مغارة بعيدة، كانت تبعد عنها نصف ميل. فعندما كان يجد الناس يزعجونه، كان يذهب سرًّا من قلايته إلى هذه المغارة بدون أن يستطيع أحد معرفة مكانه. وقد ذكر أحد تلاميذه أنه كان يتلو في أثناء ذهابه ٢٤ صلاة ومثلها في الإياب.

٤ ــ الهروب من الكلام

(٤) وبنفس روح الخلوة هذه، بعد انصراف الإخوة من صلاة القداس قال لهم:

(3) AMEL., AMG, XXV, p. 76; Laus. Hist. (Robert Mayer), p. 57.

(4) Cotel; Vit. Pat., 5:4:27 & AMEL., AMG, XXV, p. 216.

« اهربوا يا إخوة » . فأجابه واحد منهم : « وإلى أين يجب أن نهرب في هذه البرية ؟ هل يوجد مكان أبعد من هذه البرية ؟ » . فوضع القديس أصبعه على فمه قائلاً : « من هذا يجب أن نهرب » . وللوقت انصرف إلى قلايته وأغلق الباب ومكث وحده .

٥ — الهروب من الناس

(٥) طلب الأنبا إشعياء من القديس أن يقول له كلمة تعليم ، فلم يقل له سوى هذا : « إهرب من الناس » . فلما سأله إشعياء : « وما هو الهروب من الناس ؟ » ، أجابه : « هو جلوس الإنسان في القلاية ، وبكاؤه على خطاياه ، وكراهية الميل البشري للحديث ؛ وأولى الفضائل هي ضبط اللسان والبطن على السواء » .

٦ — الإبتعاد عن المجاملات

جاءه الأنبا موسى يقول له إنه يشتاق إلى حياة الوحدة والسكون ، ولكن افتقاد الإخوة له يمنعه من ذلك ، ولتواضعه الطبيعي ما كان يرفض كل مَنْ يطلب أن يراه . فأوصاه القديس أن يعتزل إلى برية أبعد ، هي بترا Petrae (٦)، ففعل موسى هكذا ووجد النياح الذي كان يتوق إليه (٧) . وإن الأنبا موسى هذا ، هو رئيس اللصوص الشهير والذي اشتهر بالأكثر بالتوبة والرجوع . وبذلك تصبح الكنيسة مدينة للقديس مقاره بالفضل الذي نالته من الأنبا موسى .

---

(٥) بستان الرهبان ، طبعة ١٩٥٦ ، ص ٢٥٢ . Boll.; 15 Jan; Vit. Pat., 3:189.

(٦) يوجد مكانان بإسم بترا : الأول : هو صخرة شيهيت ، وهي تبعد قليلاً عن دير البراموس الآن ، والثاني : صخرة شيهيت المدعوة صخرة مقاريوس وهو موضع دير أنبا مقار الحالي .

(7) AMEL., AMG, XXV, p. 217.

٧ — نصيحة العمر

(٨) وقد ثبَّت الله القديس مقاره في محبته للخلوة عن طريق مقابلة رتَّبها الله له مع راهبين متوحدين صادفهما في البرية الجوانية، ونصحاه بالجلوس في السكون وحده. وقد ذكرها القديس بنفسه عندما ذهب من الإسقيط إلى نتريا لحضور الذبيحة التي كان يقدمها القديس بامو (الذي تنيح عام ٣٧٦م) (٩) ويقول آخرون إنه جاء فقط إلى دير بامو في يوم كانت تُرفع فيه هذه الذبيحة.

وإنه ليُتعجَّب جداً من اتضاع هذا الإنسان الإلهي الذي صار في كمالٍ عظيم. غير أنه كان يعتقد دائماً بوجود فضائل أعظم من فضيلته وقدرات أعظم من قدرته.

ولكي يعزي القديس أنبا مقار الإخوة(١٠) (ويثبّتهم في محبة الخلوة مبيناً لهم كيف أن الشيطان يرهبها) ذكر لهم أن أمًّا قد أحضرت إلى قلايته ابناً تسلَّط عليه الشيطان. فكان هذا الولد يقول لأمه: «هلم نقوم ونذهب من هنا». ولما كانت تجاوب به أنها ما تقدر أن تمشي قال لها: «سأحملك». ويعلّق القديس على هذا بقوله: «كنت مُعجباً بالمهارة التي كان يحاول بها الشيطان أن يطردهم من هنا».

٨ — الخدمة عدو الوحدة

(١١) وإذ يريد أن ينفي الإغراء الذي كان يراود بعض الرهبان بأن يتركوا سكونهم ليعطوا الآخرين بحجة أن في هذا ربحاً أعظم، كان يشبّههم بـ«حلاَّق» كان يقتصد قليلاً كل يوم لأن الناس في المكان الذي كان فيه كانوا يدفعون قليلاً ثمناً لحلاقة الرأس. ولما طمع في ربح أكثر، ذهب إلى مكان آخر كانوا يدفعون فيه أكثر. ولكنه

(8) Ibid., p. 218-220.

(9) Vit. Pat., 6:3:4.

(10) Boll., 15 Jan., Vit. P., 5.18 & 18.

(11) Cass.; Coll. XXIV, 13.

وجد هناك أن المعيشة مرتفعة جداً، فلم يستطع أن يقتصد شيئاً لأنه بالكاد كان يكفي معيشته.

٩ ــ الطموح مبدِّد لهدوء الوحدة

(١٢) وفي حديث له مع أحد المتوحدين، الذي جاءه حزيناً لأنه سمع بعذراء تصلي كل يوم بعدد صلوات أكثر منه. فقال له القديس مقاره: «لقد عشت حتى الآن ستين سنة في النسك، ولا أصنع سوى خمسين صلاة في اليوم، وأعمل ما يكفي لحصولي على حاجتي من الطعام، وأستقبل الإخوة الذين يأتون إليَّ، وأقول لهم ما يناسبهم، وأدفع ديوني، ومع ذلك فإن فكري لا يدينني كإنسان يستهين بالله. أما أنت الذي تصنع ثلاثمائة صلاة في اليوم أتلومك أفكارك؟ فإما أنك لا تقدّمها بطهارة (قلب)، أو أنك قادر أن تقدّم أكثر منها ولا تفعل!».

١٠ ــ طياشة الفكر تعكّر صفو الوحدة

(١٣) وقال أيضاً: «إذا أقدمت على الصلاة فاحرص أن تكون ثابتاً لئلا تسلّم إناءك بيد أعدائك، لأنهم يشتهون اختطاف آنيتك التي هي أشواق نفسك، وهي الأشواق الصالحة التي يجب أن تخدم بها الله نهاراً وليلاً، لأن الله لا يطلب أن تمجده بشفتيك فقط بينما تطيش أفكارك بأباطيل العالم، ولكنه يريد ألا توقف نفسك أمامه وأفكارك تنظر إليه بدون التفات».

---

(12) Apoph., 295, S. no. 355.

(١٣) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٧٠ وما بعدها.

١١ — تهيئة النفس للوحدة

(١٤) وأيضاً عن السكون يقول القديس: «ضع همّك كله في أن تطلب الله وأن تنجو من أيدي أعدائك. فالآن، يا رجل الله، إن وضعت في قلبك أن تقتني الوحدة فهيِّيء ذاتك لها، واصبر على المسكنة، فإن الوحدة والمسكنة عظيمتان، وليس شيء من المواهب يساويهما في القدر والكرامة لأنهما يُقرِّبان إلى الله، كما لا تُحصى المواهب الموجودة داخلهما لأنهما يفوقان جميع الفضائل، وهما في وسط جميع المواهب يتلألآن، لأنهما مصدر أعمال القديسين، وجميع القديسين وجدوا الله فيهما، وكشفت لهم الأفكار، فوهبهم الله قلوباً نقية، وهم في المسكنة والوحدة جياع عطاشى، هؤلاء الذين لم يستحقهم العالم، تائهين في البراري والقفار والمغائر وشقوق الأرض. هؤلاء الذين لهم هذه الشهادة الجليلة قد وجدوا الله في الوحدة، و بالمسكنة والصبر، لأن مجد الوحدة غير محدود، ورجاؤها وفرحها هو الله، وهي العزاء في الفقر والمسكنة. غذاؤها الصبر، وخدمتها الكاملة هي الطهارة، وفرحها هو الإتضاع. هي التي لا يفسدها سوس ولا يتدنس لها ثوب لأنها ساكنة في الطهارة».

١٢ — الصبر هو قوة الوحدة

(١٥) سأل أخ الأب مقاريوس عن الوحدة فأجاب الشيخ وقال: إن كنت حقاً تريد السكنى في الوحدة، فاصبر لها ولا تؤدِّ عملك يوماً في الداخل ويوماً في الخارج، ولكن اصبر لها باتضاع، والله الصالح يؤازرك. لا توجِد سبباً للخروج عن الوحدة حتى ولو ليوم واحد، بل اثبت في مسكنك لتذوق حلاوتها، ولا تبطيء خارجاً لئلا تجذب إليك المضاد وتتجدد عليك أتعابك وتحرَم من الصبر. لا تبطيء خارج قلايتك لئلا تجد أتعابك قدّامك عند رجوعك، فتتعب جداً في حربك ويصعب انتصارك. يا رجل الله حتى متى تدوم لك

---

(١٤) شرحه.

(١٥) المرجع السابق ص ٧١.

هـذه الأتعاب؟ اصبر للمسكنة، وعزاء الوحدة يأتيك من قِبَل الله. لا تضيّع يوماً واحداً، ونعمة الوحدة وحلاوة المسكنة تصيران لك عزاء، ويعطيك الله سعادة في مسكنك.

١٣ ــ عثرة اللسان تُفسد الوحدة

(١٦) وقال أيضاً: «يجب على الراهب أن يكون في سكون كل حين، ولا يسمع لأفكاره التي تُوعز إليه بكثرة الكلام الذي يُضعف النفس، بل يمسك عن الكلام حتى ولو نظر أناساً يضحكون أو يتحدثون بكلام لا منفعة له وذلك لجهلهم. لأن الراهب الحقيقي يجب أن يتحفَّظ من لسانه، كما هو مكتوب في المزمور: «اللهم اجعل لفمي حافظاً وعلى شفتيَّ ستراً حصيناً». فالراهب الذي يسلك هكذا لا يعثر أبداً بلسانه، ولكنه يصبح إلهاً على الأرض».

١٤ ــ أنظر إلى فوق دائماً

ومن تعاليم القديس مقاريوس التي لقَّنها للراهب ثيئوبمْبتُس، الذي كان قد استولى عليه الشيطان: «إذا داهمتك التجربة، فلا تخفض عينيك إلى الأرض، ولكن ارفعهما باستمرار إلى فوق، والرب يعينك في الحال.» (١٧)

(١٦) المرجع السابق ص ٧٢.

(17) Apoph. Pat., Mac. 111.

الفصل الثامن

نبوّات ورؤى القديس مقاره

قلنا من قبل إن الله أعطى القديس مقاره المصري منذ سن الأربعين السلطان على الشياطين وموهبة شفاء المرضى، وروح النبوة. ويسهل علينا أن نورد أدلة على كل هذه الأمور:

[كان للقديس تلميذان في الإسقيط، أحدهما يعيش متوحداً في قلايته الخاصة والآخر اسمه يوحنا يعيش بجواره لخدمة المرضى وعمل واجبات الضيافة للذين يقصدون القديس. و بعد فترة من معيشتهما معاً، إذ كان القديس مقاره يرى بالإستنارة الداخلية ما كان مخفي عن الآخرين، خاطب القديس تلميذه يوحنا قائلاً: «اسمع مني يا أخي واحتمل مني رأياً قد ينفعك. إنك مُجرَّب بشيطان الطمع وحب المال لأني رأيته فيك، ولكن إن قبلت نصيحتي وأخرجته من قلبك فإنك تُكمِّل عمل الله بالكمال في هذا المكان، وتصير في النهاية مُمجَّداً، فلا تقترب إليك تأديبات الله. أما إن كنت لا تسمع لي فإنك ستسقط فيما سقط فيه جيحزي لأن مرضه فيك.» (١)

وقد تم ذلك فعلاً. فبعد موت القديس مقاره رُسم يوحنا كاهناً في مكانه ونسي قول القديس له، وعوضاً عن وصاياه تبع إيحاءات ذاك الذي دفع يهوذا أن يشنق نفسه بسبب حبه للمال، فأخذ ما هو مُخصَّص للفقراء. وأخيراً، بعد خمس عشرة سنة (بعد نياحة القديس) وُجِد هذا التلميذ مملوءاً برصاً بدرجة أنه لم يكن

---

(1) Laus. Hist., ch. 19.

في جسده قدر أصبع غير مريض، فصار عبرة لرؤساء الأديرة ونُظَّارها].

(٢) ويذكر بالاديوس، للدلالة على روح النبوة التي وهبها له الله، قول القديس مقاره إلى إخوته:

«حينما ترون الأبنية تُشيَّد بجوار البرْكة (للعلمانيين): فاعلموا أن خراب الإسقيط قريب. وحينما تبصرون أشجاراً تُزرع، قولوا إن الخراب على الأبواب. لكن إن رأيتم في الإسقيط أطفالاً، فخذوا إسكيمكم(٣) واهربوا».

وقد خربت هذه البرية بالفعل ثلاث مرات: الأولى منها، بعد نياحة القديس بقليل (١٧ سنة)، واضطر الرهبان أن يهربوا أمام هجوم البربر في هذه المنطقة(٤).

[قال أنبا مقار في نبوّاته إن الطغمات الأولى الذين يسكنون في هذا الجبل يكونون أقوياء بالله في الأعمال مثل سِبَاع الجبال، وترتفع طلباتهم وصلواتهم وطِيب دموعهم ومسكنتهم وأصوامهم دائماً أمام عرش الله، ويقيمون هكذا أزمنة كثيرة، وبعدها يطلق الله أن تخرب الأربعة ديارة وتصير مقفرة. ولكن بعد ذلك يذكر سيدي يسوع المسيح الرحوم أعمالهم وتدبيرهم وفضائلهم، ويستدعي مَن تبقَّى من الرهبان ويوعز إليهم الملك المسيح قائلاً: ارجعوا إلى بلد آبائكم واعملوا بمقدار قوتكم.](٥)

* * *

وتوجد رؤى أخرى ونبوات لم نشأ أن نضعها هنا، ويجدها القارىء تحت فصول المعجزات وتسلُّط القديس على الشياطين ومعرفة خداعهم.

---

(2) Vit. Pat., V:18 & 11; Boll., 15 Jan.

(٣) وهي حسب النص القبطي «خذوا جلدكم واهربوا» (أي جلد الغنم المدبوغ الذي كان يلبسه الآباء على ظهورهم في الشتاء لإتِّقاء البرد). ومن هذا ترى أيها القارىء أن المَثَل المعروف: «فلان هرب بجلده» هو أصلاً مَثَل رهباني، ومعناه أن الراهب إذا رأى خطراً على خلاصه وطهارته فإنه يهرب بجلده (ولا يأخذ معه شيئاً آخر).

(4) Vit. Pat., V, 18 & 13, 14.

(٥) المخطوطة العربية: سيرة مقاريوس ١٨ س، ص ٢٢ بمكتبة دير أنبا مقار.

الفصل التاسع

تسلُّط القديس مقاره
على الشيطان والأرواح الشريرة

١ ــ شيطان الشهوات اللذيذة.
٢ ــ شيطان المعاثر المتنوعة.
٣ ــ شيطان المخاوف والإنزعاجات.
٤ ــ شيطان النصيب الأكبر.

١ ــ شيطان الشهوات اللذيذة

(١) كان الأب مقاره يرقب الطريق في أحد الأيام، فرأى الشيطان سائراً فيه على هيئة رجل مسافر وقد أقبل إليه، وكان مرتدياً جلباباً كله ثقوب، وكانت أنواع مختلفة من الفاكهة معلَّقة فيه. فقال له القديس مقاره: «إلى أين أنت ذاهب؟» فأجاب: «أنا ماضٍ لأزور الإخوة لأُذكّرهم بعملهم». فقال له الشيخ: «ولأي غرض هذه الفاكهة المعلَّقة عليك؟» فأجاب: «إني أحملها للإخوة كطعام» فسأله الشيخ: «كُلُّ هذه؟» فأجاب الشيطان: «نعم، حتى إذا لم يَرُقْ لأحد الإخوة واحدة منها أعطيه غيرها، وإن لم تعجبه هذه أعطيه تلك. ولا بد أن واحدة أو أخرى من هذه ستروقه بالتأكيد». وإذ قال الشيطان هذا، سار في طريقه.

فظل الشيخ يرقب الطريق حتى أقبل الشيطان راجعاً. فلما رآه قال له: «هل

(1) AMEL., AMG, XXV, pp. 231-234.

وُفِّـقـت؟» فـأجـاب الشيطان: «من أين لي أن أحصل على معونة!؟» فسأله الشيخ: «لأي غـرض؟» أجـابـه الـشيطان: «الكل قد تركوني وثاروا عليَّ. وليس واحد منهم يـسمـح لـنـفـسـه أن يخضع لإغـرائي». فـسـأله الشيخ: «ألم يبقَ لك ولا صديق واحد هناك؟» فقال الشيطان: «نعم، لي أخ واحد. ولكنه واحد فقط، هذا الذي يخضع لي، على الـرغـم مـن أنـه حينما يراني يحوِّل وجهه عني كما لو كنت خصماً له». فسأله الشيخ: «ومـا هـو اسم هذا الأخ؟» فقال له الشيطان: «ثيئوبمبتس Theopemptus». وإذ قال هذا رحل وسار في طريقه.

حـيـنـئـذ قـام الـشيخ ونزل إلى البرية السفلى. فلما سمع الإخوة بمجيئه، أقبلوا للقائه بـسـعف النخل. وجهز كل راهب مسكنه ظاناً أنه قد يأتي إليه. ولكن الشيخ سأل فقط عـن الأخ الـذي يُـدعـى ثـيـئـوبمبـتس، واستقبله بفرح. وبينما كان الإخوة يتحدثون مع بـعـضـهـم الـبـعـض قـال لـه الـشـيـخ: «هـل عـنـدك شيء تقوله يا أخي؟ وكيف هي أحـوالـك؟» فـقـال لـه ثيئوبمبتس: «في الوقت الحاضر الأمور حسنة معي»، وذلك لأنه خجل أن يتكلم.

فـقـال لـه الـشـيـخ: «هوذا أنا قد عشت في نسك شديد مدى سنين طويلة، وصرت مـكـرَّمـاً مـن كـل أحـد. وعلى الرغم من هذا، ومع أنني رجل شيخ، إلاَّ أن شيطان الزنا يـتـعـبني». فـأجـابـه ثيئوبمبتس: «صدقني يا أبي، إنه يتعبني أنا أيضاً». واستمر الشيخ يوجِد سبباً للكلام — كما لو كان مُتعَباً من أفكار كثيرة — إلى أن قاد الأخ أخيراً إلى أن يـعـتـرف بـالأمـر. و بـعـد ذلـك قـال «إلى متى تـصـوم؟» فـأجاب الأخ: «إلى الساعة الـتـاسـعـة». فـقـال الـشـيـخ: «صُـمْ حتى الـعـشـاء، واستمر على ذلك. إتْلُ فصولاً من الأناجيل ومن الأسفار الأخرى. وإذا صعدت فكرة إلى ذهنك، لا تجعل عقلك ينظر إلى أسفـل. بـل فـليكن فوق دائماً. والرب يعينك». وهكذا إذ جعل الأخ يكشف أفكاره، وإذ شجَّعه، عاد ثانية إلى بريته. وسار في سبيله وكان يرقب الطريق كعادته.

ورأى الشيطان ثانية، فقال له: «إلى أين أنت ذاهب؟» فأجاب وقال له: «أنا ذاهب لأذكّر الإخوة بعملهم». ولما رحل ورجع ثانية، قال له القديس: «كيف حال الإخوة؟» فأجاب الشيطان: «كلهم مثل حيوانات متوحشة. كلهم متمردون. وأسوأ ما في الأمر أنه حتى الأخ الوحيد الذي كان مطيعاً لي قد انقلب هو الآخر، لأي سبب لست أعلم! ولم يَعُدْ يخضع لإغرائي بأي حال. وصار أكثرهم نفوراً مني. ولذلك قد أقسمت أني لن أذهب إلى ذلك المكان إلاّ بعد مدة طويلة على الأقل».

٢ — شيطان المعاثر المتنوعة

(٢) وجاء أيضاً عن القديس مقاره أنه كان في وقت ما سائراً في أقصى البرية. فأبصر شخصاً هرماً حاملاً حملاً ثقيلاً يحيط بسائر جسمه، وكان ذلك الحمل عبارة عن أوعية كثيرة في كل منها ريشة، وكان لابساً إياها بدلاً من الثياب، فوقف مقابله وجهاً لوجه يتأمله، وكان يتظاهر بالخجل تظاهُر اللصوص المحتالين. فقال للبار: ماذا تعمل في هذه البرية تائهاً وهائماً على وجهك؟ فأجابه الأب قائلاً: أنا تائه طالب رحمة السيد المسيح. ولكني أسألك أيها الشيخ بإسم الرب أن تُعرِّفني مَن أنت؟... لأني أرى منظرك غريباً عن أهل العالم، كما تُعرِّفني أيضاً ما هي هذه الأوعية المحيطة بك، وما هو هذا الريش أيضاً؟

وقد كان الثوب الذي عليه مثقَّباً كله. وفي كل ثقب قارورة — فأقرَّ العدو بغير اختياره وقال: يا مقاره، أنا هو الذي يقولون عنه شيطان محتال. أما هذه الأوعية فبواسطتها أجذب الناس إلى الخطية، وأُقدّم لكل عضو من أعضائهم ما يوافقه من أنواع الخديعة، و بريش الشهوات أُكحّل مَن يطيعني ويتبعني، وأُسر بسقوط الذين أغلبهم، فإذا أردت أن أضل مَن يقرأ نواميس الله وشرائعه، فما عليَّ إلاّ أن أدهنه من الوعاء الذي

(٢) بستان الرهبان، طبعة ١٩٥٦، ص ٢٠.

على رأسي، ومَن أراد أن يسهر في الصلوات والتسابيح فإني آخذ من الوعاء الذي على حاجبي وألطِّخ عينيه بالريشة، وأجلب عليه نعاساً كثيراً وأجذبه إلى النوم.

والأوعية الموجودة على مسامعي مُعدَّة لعصيان الأوامر وبها أجعل مَن يسمع إليَّ لا يذعن لمَن يشير عليه. والتي عند أنفي بها أجتذب الشاب إلى اللذة. أما الأوعية الموضوعة عند فمي فبواسطتها أجتذب النُسَّاك إلى الأطعمة، وبها أجذب الرهبان إلى الوقيعة والكلام القبيح. وبذور أعمالي كلها أوزِّعها على مَن كان راغباً ليُعطي أثماراً تليق بي. فأبذر بذور الكبرياء. أما مَن كان على ذاته متكلاً فإني أجعله يتعالى بالأسلحة التي في عنقي. والتي على صدري فهي مخازن أفكاري ومنها أسقي القلوب مما يؤدي إلى سُكر الفكر وأُشتِّت وأُبعد الأفكار الصالحة من أذهان أولئك الذين يريدون أن يذكروا مستقبل حياتهم الأبدية.

أما الأوعية الموجودة عند جوفي فهي مملوءة من عدم الحس وبها أجعل الجُهَّال لا يحسُّون، وأُحسِّن لهم المعيشة على مذبح الوحوش والبهائم... أما التي تحت بطني فن شأنها أن تسوق إلى فعل سائر أنواع وضروب الزنى والعشق واللَّذات القبيحة. والتي على يدي فهي مُعدَّة لضرب الجسد والقتل. والمعلَّقة وراء ظهري ومنكبيَّ فهي مملوءة من أنواع المحن المختصة بي، وبها أقارع الذين يرومون محاربتي فأنصب خلفهم فخاخاً، وأُذلُّ مَن كان على قوته متكلاً. والتي على قدمي فهي مملوءة عثرات أُعرقل بها طرق المستقيمين. ومن شأني أن أخلط في بذور فلاحتي صنوفاً من الحسك والشوك، والذين يحصدون منها يُساقون إلى أن ينكروا طريق الحق.

وبعد أن قال هذا صار دخاناً واختفى. وإن القديس ألقى بنفسه على الأرض، وابتهل إلى الله بدموع لكي يحارب بقوته عن الضعفاء سكان البرية ويحفظهم.

٣ ـ شيطان المخاوف والإنزعاجات

(٣) ويُذكر عنه قصة أخرى توضّح كيف أنه كان متسلّطاً على الشياطين: جاء مرة من الإسقيط إلى «ترينوت» (الطرانة)، ودخل في معبد أو في قبر لكي يقضي الليل وينام. وكان في ذلك المكان عدة أجساد ميتة للوثنيين. فأخذ واحدة منها ليضطجع عليها كما لو كانت قبضة من القش. فغضبت الشياطين إذ رأته في مثل هذا الإطمئنان فأرادوا إزعاجه. فتظاهروا بالنداء على ذلك الميت قائلين: «يا فلانة قومي معنا إلى الحمّام». فكان شيطان آخر ينطق من تحت القديس، كما لو كان الميت بشخصه يتكلم: «لا أقدر أن أذهب لأنه يوجد شخص غريب متوسدني». فبدلاً من أن ينزعج القديس قام وضرب الجسد بشدة قائلاً: «قومي إن استطعتِ وانطلقي إلى الظلمة». فصرخت الشياطين بشدة قائلين: «قد غلبتنا». وهربوا في خزي وعار.

(٤) وذات يوم، بينما كان القديس عائداً إلى قلايته حاملاً سعف النخيل الذي جمعه عند بركة الإسقيط، ظهر له الشيطان وفي يده منجل حاد جداً محاولاً أن يضربه به، ولما لم يستطع، صرخ قائلاً: «يا مقاره، إنك تعذّبنا بشدة عظيمة. كلما أحاول أن أسيء إليك لا أجد قوة لذلك. أنت تصوم وأنا لا آكل أبداً. أنت تسهر وأنا لا أنام أبداً. لا يوجد إلا أمر واحد غلبتني فيه». فسأله القديس: «وما هو؟» أجابه: «تواضعك! هو الذي يجعلني عاجزاً عن أن أفعل شيئاً ضدك».

فرفع القديس يديه للصلاة، فاختفى الشيطان.

٤ ـ شيطان النصيب الأكبر

[ومضى أبونا مقاره إلى الوادي دفعة، ليجمع سعف النخل. فلما جمع حاجته،

---

(3) Boll., 15 Jan.; Vit. Pat. V:7, §10. (Amélin., AMG, p. 213).

(4) Boll., 15 Jan.; Vit. Pat. III: §124; V, 15, §26; VII, 13, §6.

وقف به الشيطان في زي راهب لابس إسكيم، وقال له: اعطني نصف هذا الخوص. فقال له الشيخ: خُذْ منه ما شئت. فأجابه الشيطان: أريد نصفه. فقسَّم القديس الخوص نصفين، وكان نصف أصغر من الآخر. وقال الأب: خُذْ ما شئت. فقال له الشيطان: أنت الذي تعبت خُذْ أنت ما تريد. فمدَّ القديس يده وأخذ النصيب الأصغر. فللوقت لم يطقْ الشيطان تواضع القديس، وصرخ بالصوت: الغوث منك يا مقاره لقد غلبتنا بكثرة تواضعك. فسأله: ومَن أنت؟ فأجابه الشيطان: أنا شيطان النصيب الأكبر.](٥)

ويقول المؤرخ سقراط في كتابه: «التاريخ الكنسي» عن القديس أنبا مقاره الكبير هكذا:

[إن مقار المصري قد صنع العديد من الأشفية، وأخرج كثيراً من الشياطين. وإذا أردنا أن نسجِّل هذه الحالات جميعها، يعوزنا كتاب بأكمله، لأن نعمة الله مكَّنته فعلاً من ذلك.](٦)

كما يقول المؤرخ سوزومين عن القديس أنبا مقاره أيضاً هكذا:

[إن الشياطين كانت ترتعب منه، وقد أجرى آيات وعجائب وأشفية مذهلة.](٧)

(5) AMEL., AMG, XXV, p. 227.

(6) Socr., Ecc. Hist., IV., 23.

(7) Sozomen, Ecc. Hist., III, 14.

الفصل العاشر

القديس مقاره رجل معجزات

١ — الموتى يقومـون.
٢ — موتى يتكلَّمـون.
٣ — بعض أعمال أخرى فائقة.

١ — الموتى يقومـون

إن أول انـطـباع ارتسم في ذهن بالليديوس عند وصوله لشيهيت وسماعه أخبار وسيرة القديس مقاره، الذي كان قد مضى عام واحد على نياحته، هو أنه شخصية مَهيبة ورجل مـعـجـزات. فـشـهرة القديس مقاره ومكانته بين الشيوخ في نتريا والقلالي وشيهيت، على الـسواء، كانت تستمد قوتها وأثرها في النفوس لسببين: الأول لحكمته الفائقة على حدود التصوُّر، والثاني لكثرة المعجزات المدهشة التي رأوها بأعينهم ولمسوها بأيديهم.

ومـعجزات القديس مقاره لا يمكن إغفالها عند دراسة حياته بسبب ذيوعها وانتشارها في كـافـة الأصـقـاع، مـع تأكيدات من الآباء المعاصرين له بصحة حدوثها بكل دقائقها و بأكثر مما يرويها المؤرخون عنه، وذلك بالرغم من ارتفاعها فوق مستوى المعقول البشري، مـثـل إقـامـة الموتى وإعادتهم إلى الحياة، وإبطال أعمال السحر العنيفة، وشفاء الأمراض المستعصية، ومخاطبته جثث الموتى.

القديس مقاره يقيم الموتى (1):

إن تواضع القديس مقاريوس جعله يخفي كثيراً من المعجزات التي كان الله يجريها على يديه، كما أن كثيراً من الظروف والتفاصيل المحيطة بما وصل إلينا من المعجزات مجهولة لدينا. فالمؤرخون يؤكّدون أنهم لم يكتبوا جميع ما عرفوه عن هذه العجائب، لأنه لو كتبت لاحتاجت إلى مجلدات كثيرة. ومع ذلك فقد نقلوا إلينا الكثير من هذه العجائب.

ومن أشهر هذه العجائب أنه جعل ميتاً يتكلم إلى رجل هرطوقي ليقنعه بقيامة الموتى، و بذلك حُفظ إيمان شعب بأجمعه. وأهمية هذه الأعجوبة ليست في ذاتها، لكن فيما أدّت إليه من نتيجة، أي حفظ إيمان شعب بأكمله:

كان يوجد في مصر بعض الهراطقة، وكان من بين هرطقاتهم عدم الإيمان بقيامة الأموات. وكانوا يُعرَفون باسم «الهيراسيت» Hieracites نسبة إلى مبتدعهم «هيراكس» Hierax (2). وكانوا يقطنون مصر منذ أيام دقلديانوس. وتصادف أن واحداً منهم ذهب إلى البرية التي يقطنها القديس مقاره المصري وكان يسبب القلق والبلبلة بين المتوحدين بكلام ملق، بل وتجاسر على أن يتكلم بهذه البدعة أمام القديس شخصياً. وكان القديس يجادله، أما هو فكان يرد على كلام القديس البسيط بكلمات خداع. ولما وجد القديس أن المتوحدين في خطر تزعزع الإيمان، قال: «ما الداعي لهذا الكلام الباطل الذي يسيء إلى مَن يسمعنا؟ الأحرى أن نتوجّه إلى مقابر الإخوة الذين سبقونا إلى السماء، وليعلم كلٌّ منا أن الذي يعطيه الله نعمة إقامة أحد هؤلاء فهو الذي يكون معتقده سليماً». فوافق الجميع على هذا الجواب وذهبوا إلى المقابر. وحث القديس ذلك الشاب الهرطوقي على أن يحاول إقامة أحد الأموات باسم الرب، أما الهرطوقي فقد

(1) On these miracles see:

a. Pallad. Laus. Hist. Macar. of Egypt. ch. 17.

b. Coptic Mss. See Zoëga Cat., No. LXX, pp. 127 f.

c. Palladius und Rufinus; by Preuschen pp. 124 f.

d. Historia Monachor., ch. XXVIII.

(2) On Hierax and his tenets see Epiphanius on Hierax, PG XLII, Col. 173f.

طلب أن يفعل القديس ذلك أولاً باعتبار أنه صاحب الإقتراح.

فجثا القديس على ركبتيه وصلى؛ و بعد أن أتم صلاته، رفع عينيه إلى السماء وقال: «أعلمنا يا رب بواسطة إقامة هذا الميت مَن مِنَّا له المعتقد القويم؟» عندئذ دعا بإسم أحد المتوحدين الذين دُفنوا من وقت قريب. فأجابه الميت من قبره، وتقدم الإخوة من الميت ونزعوا من عليه الكفن، وأخرجوه حيًّا من القبر. ففرَّ المرطوقي فزعاً مذهولاً مما رآه. أما الإخوة فركضوا وراءه وطردوه من هذه الناحية.

هذه القصة هي بحسب رواية روفينوس. أما باللاديوس وسوزومين فاكتفيا بالإشارة إلى أن القديس أقام ميتاً، ليقنع أحد الهراطقة أن الأموات سيقومون جميعهم يوماً ما. أما كاسيان فينقلها إلينا بأكثر تدقيق، فيقول إن المرطوقي هو «أونومي» Eunomien . وأضاف أن القديس مقاره هو الذي أتى إلى الكنيسة تلبية لدعوة أصحاب الإيمان الصحيح، وأن الإقتراح بإقامة الميت تأجل إلى اليوم التالي، ففر المرطوقي هارباً وترك مصر نهائياً. أما القديس مقاره فانتظره مع الشعب حتى الساعة الثالثة بعد الظهر. ولما رأى أنه لم يأتِ، ذهب إلى الموضع الذي اعتاد أن يدفن فيه المصريون أمواتهم. ووجد هناك ميتاً منذ زمان طويل فتحدث إليه هكذا: «أيها الرجل. قُلْ لنا لو كان هذا المرطوقي موجوداً بيننا ودعوتك بإسم يسوع المسيح، ألا كنت قد قمت حيًّا أمام هذا الشعب الذي كاد أن يُضلّه هذا المبتدع؟» فقام الميت في الحال وأشار إلى أنه كان سيفعل هكذا. فسأله القديس عن شخصيته، وفي أي زمان عاش، وهل كان يعلم شيئاً عن يسوع المسيح، فأجاب أنه عاش في زمن أقدم الملوك وأنه لم يسمع قط عن يسوع المسيح. فأجابه القديس قائلاً: «ارقدْ بسلام، وانتظر إلى أن يقيمك يسوع المسيح في نهاية الزمان حسب رتبتك».

ويورد كاسيان هذه القصة للدلالة على أن القديسين ما كانوا يسعون وراء المعجزات، بل حتى عندما يمنحهم الروح القدس هذه النعمة كانوا يستعملونها للضرورة

القصوى. وأضاف كاسيان في نهاية القصة قوله أن مقاريوس، باتضاعه، أخفى عنا هذه العطية التي أنعم بها الروح القدس عليه. وأنه لولا حاجة المنطقة بأسرها، إذ كانت في خطر الهلاك، ولولا محبته للرب يسوع المسيح، لما قام بعمل هذه المعجزة، ولم يكن المجد الباطل ولا الرغبة في الظهور هي التي دفعته لذلك، بل محبته لمخلِّصه وتحنُّنه على هذا الشعب.

والملاحَظ أن كاسيان راهب ومؤرخ روحاني دقيق، وهو معاصر لزمن القصة، وقد استقاها من الشيوخ، وربما لا يكون قد مرَّ على حدوثها وقتئذ أكثر من عشر سنوات.

كذلك فإن القديس فيلوكسينوس(٣) المنبجي، يعلِّق على هذه الحادثة بقوله:
[لماذا أنبا مقاره وأنبا شيشاي وأمثالها أقاموا موتى، وما جعلوهم يبقون في الحياة، بل قالوا لهم ارقدوا إلى زمان القيامة؟ لأنه لا ربح في بقائهم، لا للموتى ولا للذين أقاموهم ولا لغيرهم أيضاً، حسب ما يعلم الله الذي دبَّر أن يكون هذا الأمر هكذا، وعلى ما كان يظهر للآباء في الرؤيا. أما الموتى، فلأن بعض القديسين لما أقام ميتاً سأله: هل تريد أن تبقى في هذه الحياة؟ فقال: نياح الموت لي أخْيَر من عمل هذه الحياة. أما الذين أقاموهم فلئلا يستمر ظهور آثار آياتهم فيعظُم صيتهم ويُقاتلوا بالكبرياء والمجد الفارغ].

٢ — موتى يتكلمون

(٤) لم تكن تلك المرة هي الوحيدة التي فيها قام القديس بمثل هذه المعجزات. وهذه بعض منها صنعها القديس، ليعين بعض المساكين الذين افتُرِي عليهم.

تصادف أن قُتِل شخص في مكان قريب من القديس مقاريوس، واتُّهم شخص

(٣) تفسير البراديسوس مخطوطة رقم ٩ س بمكتبة دير أنبا مقار.

(4) Vit. Pat., L. II, 28, L. III, 41.

بـريء بهذه الجريمة، فهرب تجاه قلاية القديس مقاريوس، فلحق به الذين كانوا يطلبونه. وقـالـوا إنهـم هم أنفسهم في خطر، إن لم يأتوا بهذا المتهم لمحاكمته. أما هذا المتهم المسكين فـكان يؤكّد بقَسَم أنه بريء من دم هذا القتيل. أمام هذا النزاع الذي طال كثيراً، سأل الـقـديـس عـن مـوضـع دفـن الـقتيل. فلما دلّوه عليه، ذهب معهم إلى الموضع، وجثا على الأرض، ودعـا بـإسـم الـرب وقـال لهـم: «إن الرب سيرينا إن كان هذا المتهم هو الذي اقـتـرف هذه الجريمة أم لا». ورفع القديس صوته وخاطب الميت بإسمه، فلما جاوبه من قبره قال له القديس: «استحلفك بإسم يسوع أن تخبرنا إن كان هذا الرجل قد قتلك؟» فـأجـاب المـيـت بـصـوت مـفـهوم أنه ليس هو الذي قتله. أما الحاضرون فخافوا أمام هذه المـعجزة، وسجدوا متوسلين إلى القديس أن يسأله عمّن قتله. فرفض القديس قائلاً: «لا داعـي لـذلـك، إذ يـكـفـيني أن أُطـلـق سـراح البريء دون التعريف بالقاتل. فربما يندم القاتل ويتوب، وهكذا تخْلص نفسه».

(٥) ويُحكى عنه قصة أخرى تشابه هذه نقلها إلينا الأنبا شيشوي:

[لمـا كـنـت في البريـة مع الأنبا مقاره، ذهب سبعة منا لحصاد القمح. فكان في الحـقـل أرمـلـة تـلـتـقط وراءنا تبكي كثيراً. فلما رآها القديس هكذا حزينة سأل صـاحـب الحقل عن سبب ذلك، فجاوبه صاحب الحقل: «إن إنساناً أودع لدى زوجـهـا مـبـلـغـاً مـن المال ومات دون أن يعرِّفها بمكان الوديعة، وطالبها صاحب الـوديـعـة، ولمـا لم تـعـرف مـكـانها هددها بأخذها مع أولادها كعبيد». فقال له القديس: «قُلْ لها أن تأتينا ساعة راحة الظهيرة».

فـأتـت إليهـم وحكت للقديس عن سبب بكائها الدائم. فطلب إليها أن تعيِّن لـه مـكان دفنه. فذهب مع الإخوة بصحبتها إلى المكان الذي فيه دُفن زوجها، ثم صرفـهـا إلى منزلها، أما هو فأخذ يصلي مع سائر الإخوة، ودعا الميت بصوت عال طـالـبـاً إليه أن يعرِّفه بمكان الوديعة التي استؤمن عليها، فأجاب الميت إنها مخبأة في

(5) Vit. Pat., L. VI, 2; Cotel.

بيته تحت رِجْل السرير. فأضاف القديس: « ارقد بسلام إلى يوم القيامة ». فانطرح الإخوة تحت قدميه بسبب الرهبة. أما هو فقال لهم: « لم يفعل الله ذلك من أجلي لأني لست شيئاً، وإنما ذلك لمعونة تلك المسكينة والأيتام ». ثم ذهب لمقابلة الأرملة وأعلمها بمكان الوديعة. فلما وجدتها ردّتها إلى صاحبها، وهكذا أعتقت أولادها].

(٦) وقيل أيضاً عنه أنه كان معتاداً الصلاة عن الذين رقدوا وتركوا هذا العالم، فأراد أن يعرف هل كان هؤلاء ينتفعون بصلاته عنهم. فلاستنارته سمح الله أن تتحدث إليه جمجمة — كان قد صادفها في طريقه إلى البرية — تحدثت إليه بمقدار راحة صاحبها بصلوات القديس. وهذه الحادثة مشهورة جداً، وإذ هي غريبة، اكتفينا بالإشارة إليها دون سردها كاملة.

٣ — بعض الأعمال الأخرى الفائقة التي قام بها القديس

ولا بد لنا الآن أن ننتقل لبعض العجائب الأخرى للقديس.

(٧) كانت هناك امرأة عفيفة وأمينة لزوجها، ولكن كان شخص آخر يحبها. ولما حاول ذلك الشخص كثيراً لتخطيء معه ولم يتمكن من ذلك، قصد إلى ساحر وأعطاه مبلغاً من المال حتى يجعل هذه المرأة تُرضي شهوته أو يجعل زوجها يهجرها. فاستخدم الساحر كل قوة فنّه. إلاّ أنه لم يتمكن من زعزعة المرأة عن عفتها، وإنما جعل الذين ينظرونها يرونها في شكل الفرس (ربما أصابها بتشنجات « شلل نصفي » في عضلات وجهها جعلت منظرها هكذا)، وإذ رآها زوجها بهذا المنظر أخذها إلى البرية حيث القديس مقاريوس(٨).

---

(6) Vit. Pat., L., VI:3 §16 & L. III §172; Boll. 15 Jan.; Jo. D. def.

(7) Laus. Hist., 19.

(8) Vit. Pat., L. II: 28.

ويقول روفينوس إنها كانت فتاة عذراء وأن أهلها أخذوها إلى القديس. ولما وصلت إلى هناك، كان حول قلاية رجل الله بعض المتوحدين الذين زجروا زوج المرأة وقالوا له: «لماذا أتيت بإمرأة إلى هنا؟» فأجابهم قائلاً: «إن ذلك حتى يتحنن عليها البار (كان يدعو القديس مقاريوس هكذا)». فسألوا عمّا أصابها، فأجابهم: «ها أنتم تنظرونها وهي تبدو وكأنها في شكل فرس، وهي امرأتي ولا أدري ما الذي أصابها حتى صارت هكذا، وها اليوم الثالث وهي لا تأكل شيئاً». أما الله فقد أوحى للقديس عن مجيء هذه المرأة، فلما أتى إليه المتوحدون وجدوه في قلايته يصلي من أجلها. فأخذها القديس بصحبة أهلها في قلايته، وجثا على ركبتيه مصلّياً لله وأمرهم أن يصلوا معه. و بعد أن مسحها بالزيت بإسم الرب، انحلّ هذا المرض، وعاد وجهها كما كان.

(٩) و بدلاً من الزيت — يقول باللاديوس — إن القديس سكب عليها ماءً سبق أن باركه وصلى على رأسها، ثم أنه أمر بأن يأتوا لها بطعام، فأكلت للحال. وهكذا أعادها إلى زوجها وهي صحيحة، فقدم كلٌّ منهما الشكر لله على هذه النعمة العظيمة. أما رجل الله فأوصى هذه المرأة قائلاً: «لا تتأخري عن الكنيسة والتناول من الأسرار الإلهية، لأن مرضك كان بسبب إهمالك التناول.» (١٠)

(١١) كان القديس يصنع معجزات أحياناً دون قصد منه. إذ يُحكى أنه كان لشخص من مصر ابن مفلوج، فأتى به إلى قلاية القديس مقاريوس وتركه على الباب، وابتعد. فلما رأى الإبن أباه تركه، أخذ في البكاء. فلما فتح الشيخ ولم ينظر سوى الطفل وحده، سأله عمَّن أتى به إلى هذا المكان؟ فأجاب: «أبي ألقاني هنا وذهب». فقال له الشيخ: «قُمْ والحق به». فشُفي الطفل في الحال، ولحق بوالده. وهكذا عاد الولد إلى بيته مُعافى.

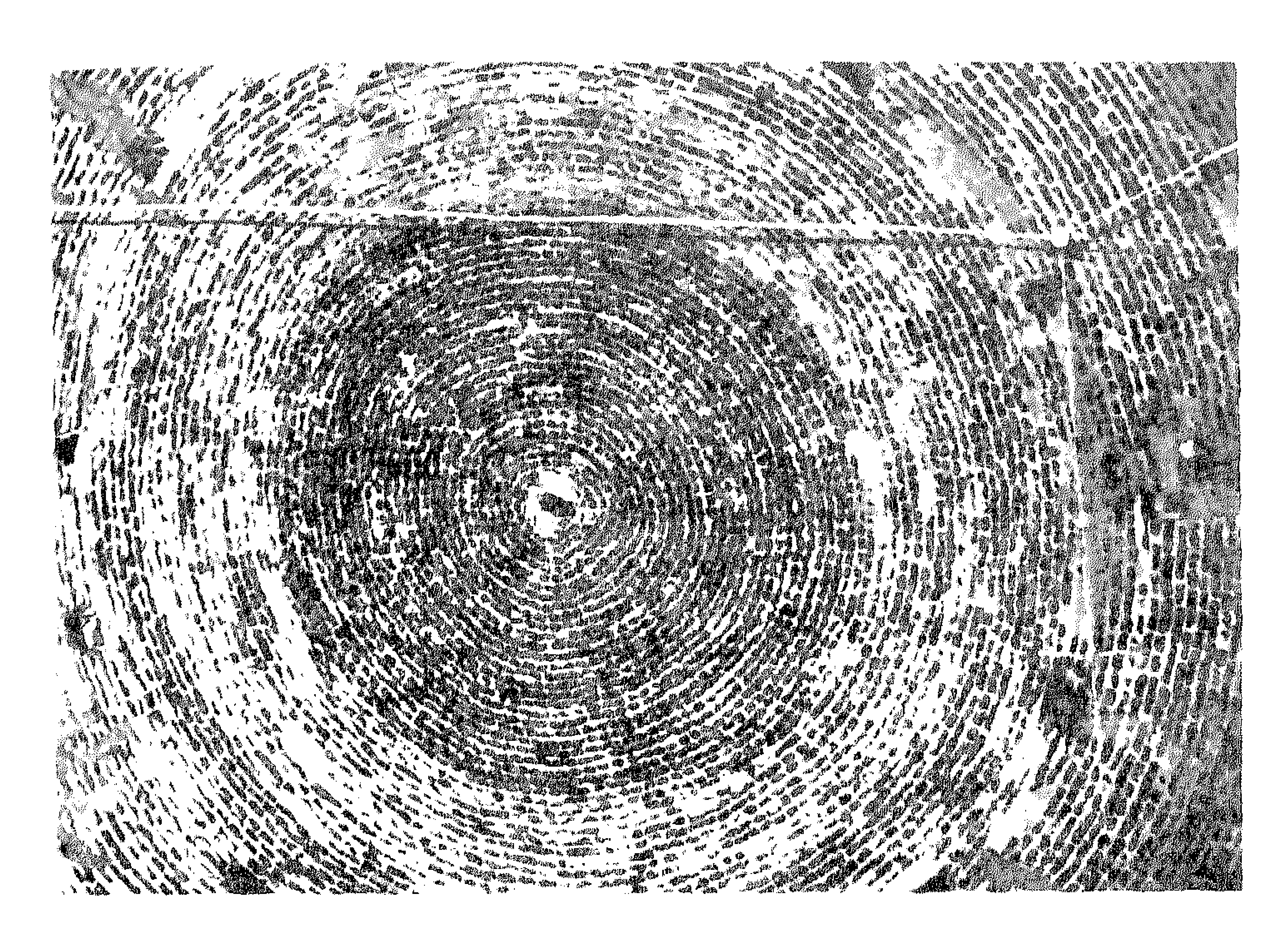
---

(9) Laus. Hist., 19.

(١٠) يُلاحَظ هنا أن القديس لم يعترف لأهل المريضة بأنها أصيبت بسحر ولكن اعتبر حالتها أنها حالة مرضية.

(11) Vit. Pat., L. VI:2; Boll., 15 Jan.

وفي حياة القديس الخاصة، حكى الشيوخ أنه كان دائماً أبداً يُعان بقوة خارقة، وكان منظر كاروب كبير يرافقه باستمرار(١٢). وحُكي أنه عندما كان القديس أبَّا مقار ماضياً من الإسقيط حاملاً معه بعضاً من الخوص، أن تعب في الطريق وجلس. فصلى إلى الله قائلاً: «يا الله أنت تعرف أنه ما عاد بي قوة». وفي الحال وجد نفسه بجانب البحر (النهر).



صورة قبة الأنبا بنيامين

الأثر الخالد الذي لا يزال يحمل ذكرى تدشين كنيسة أنبا مقار في القرن السابع

(12) Apoph. Pat. 219, s. no. 45.

الفصل الحادي عشر

ڤالنس الوالي يضطهد رهبان مصر وينفي المقارَيْن القدّيسَيْن

إلى هنا قدّمنا القديس أنبا مقار كمتوحد، كان يخفيه الله في ظِل خيمته. والآن سنقدّمه جندياً شهيراً شجاعاً ليسوع المسيح، اكتسب بشهادته لقب «المعترف»، لدفاعه أمام العالم كله عن الإيمان المسيحي الأرثوذكسي.

فإن كان الله قد سمح أن البدعة الأريوسية التي كانت تهاجم أُلوهية «الكلمة» نشأت في مصر، إلاَّ أنه قد وُجد كذلك مَن يقاومها أشد المقاومة في مصر نفسها. ونحن نعلم جيعاً ما تحمَّله القديس البابا ألكسندروس من مواقف وأتعاب لإخماد تلك النيران عند بدء اشتعالها. ولقد تبعه في احتمال تلك الأتعاب القديس أثناسيوس الرسولي، ليس فقط من الأشخاص الذين في دائرة الكرسي الرسولي في مصر، بل واحتمل أيضاً أكثر من ٤٦ سنة من اضطهادات الجحيم التي كان يثيرها الأساقفة الأشرار والتي كان يؤيدها خُبث الحاشية والبلاط، بسبب ضعف قسطنطين الملك.

والتاريخ(١) يحكي لنا أن أشد الناس تمسُّكاً وغيرة على إيمان نيقية كانوا هم متوحدو ورهبان مصر والشرق، الذين كانوا يعتبرون المقارَيْن القديسَيْن الكبير

(1) For banishing the two Macarii see:
a. Theodoret Ecc. Hist., IV, 19.
b. Socrate Ecc. Hist., IV, 20.
c. Sozomen Ecc. Hist., VI, 20.

والإسكندراني مع إيسيذوروس و بامو، وهيراكليد Heraclide وسائر تلاميذ الأنبا أنطونيوس كحُماة وكرؤساء إيمان؛ هؤلاء لم يحفظوا لأنفسهم نقاوة الإيمان والتمسُّك به فقط، بل واستخدموا السلطان الذي كان لهم على الشعب بفضل سيرة حياتهم، فكانوا يحثون الآخرين على التمسُّك به. ولأن عامة الشعب ما كانوا يرغبون في مناقشة الإيمان ذاته بل كانوا يتبعون فقط القديسين في إيمانهم، مقتنعين بأن الحق في جانب هؤلاء القديسين الذين تظهر فضائلهم بأعمالهم وعجائبهم؛ كان الشعب يحقد بشدة على كل مَن ينحرف إلى مبادىء أو عقائد تخالف عقيدة الآباء، وكانوا يعتبرونهم كأعداء، على أساس أنهم أشخاص ابتعدوا لا عن الإيمان القويم فحسب، بل وعن الأمانة لآبائهم القديسين.

لهذا السبب يُقال أن مؤمني مصر كانوا يكرهون الأريوسية كرهاً شنيعاً، بسبب مشاعر التبعية الروحية لرهبانهم القديسين.

ولكن هؤلاء الآباء القديسين لم يكن ابتعادهم في البرية حائلاً دون وصول الإضطهاد إليهم. فالهراطقة المتسلحون بسلطان رجال الدولة بعد أن بدأوا باضطهاد وتعذيب الشعب ورؤساء الكنيسة في البلاد التابعة لهم، انتهوا بعزل أو قتل كل مَن يتمسك بالطهارة والوحدة والصوم، سواء من الرهبان أو العذارى المتوحدات. وإن أعمال التوبة كانت مكروهة في نظر الهراطقة. وهكذا تقدّست الرهبنة وأعمال المتوحدين بالإضطهادات. فقد قيل أن تقشُّف أديرتهم وشدة نسكهم كان إعداداً مباركاً لتحمُّل الآلام من أجل المسيح. وكان لا بد للهراطقة، وهم أعداء الإيمان الصحيح، أن ينضموا في النهاية للشياطين لتكميل آلام القديسين وتطهيرهم.

كان سلطان القديس أثناسيوس — لم يتجرَّأ ڤالنس على مهاجمته — يحفظ مصر كلها في سلام. ولكن لما رحل أثناسيوس سنة ٣٧٣م لينال مكافأته من الله لأجل جهاداته الشاقة، أقيم البطريرك بطرس (الذي اختاره الشعب كله بالإجماع خليفة لأثناسيوس،

بـل وحتى الـرهـبان تركوا برّيتهم لتأييده). ولكن سرعان ما نُفي هذا القديس من كرسيه بسـبـب بـطـش الأريـوسيين، وأجلـسـوا بـالـقوة رئيساً كاذباً للأساقفة بدلاً منه يسمّى «لـوس» (٢) Luce = «لـوقـا»، هـذا الأسـقـف الكـاذب المغتصب الذي كان له اسم الذئب ووحشيته؛ قام، مؤيّداً — كما يقول المؤرخ سقراط — من السلطان الإمبراطوري، بأعمال وحشية فظيعة ضد إكليروس وشعب الإسكندرية وسائر أساقفة مصر (٣).

هـذا الـطاغية بعد أن طرد ونفى البعض، وقتل عدداً لا يُحصى من البعض الآخر إنْ بـالـسـيـف أو بـالـتعذيب أو بالنار؛ اتّجه أخيراً بأسلحة غيظه وغضبه نحو الأديرة، وفتك بسكان البراري، معلناً الحرب على الذين لا يطلبون سوى السلام (٤).

واعـتـقـد بـارونيوس أن ذلك حدث مع الإضطهاد الذي أعلنه «لوس» على الشعب المسـيـحـي سـاعـة دخـولـه مصر عقب موت أثناسيوس مباشرة. إلاّ أن چيروم في يومياته Chronique، يـذكر أن ذلك حدث في أواخر سنة ٣٧٥م بعد وفاة ڤالنتينيان (١٧ نوفمبر سـنـة ٣٧٥م)، وأن كـثيراً من الرهبان قُتلوا في نتريا بواسطة الولاة والعساكر. وأوروس يـقـول إن ڤالـنـس (إمـبـراطـور الـشـرق) لم يـضـطـهـد متوحدي مصر إلاّ بعد موت أخيه (ڤالنتينيان)، فأطلق لنفسه العنان.

ويـظـهـر أن ڤالـنـس أراد أن يهـاجم سكون الرهبان منذ أول يناير سنة ٣٧٣م، لأن لـديـنـا قـانـونـاً (مـرسـوم) مـؤرّخاً بهذا التاريخ، يقول فيه إن بعض الأشخاص قد تركوا الأعـمـال التي كـان يجـب أن يمارسـوها في المدن في الموضع الذي وُلدوا فيه، واعتزلوا في الـبـراري والـوحـدة وانـضموا إلى جماعات الرهبان، متسترين تحت مظهر كاذب للتدين، ليُـخـفـوا كـسـلـهـم. ويقول هذا المرسوم إن مثل هؤلاء الأشخاص ينبغي أن يُنتَزعوا من

---

(2) Socrates H. E., IV, 20f.

(٣) هـذه الـفـظـائـع يـصـفـهـا خـطـاب بـابـوي دوري مـن أنـبا بطرس خليفة أثناسيوس لشعبه احتفظ به المؤرخ ثيئودوريت. Theod. H. E., IV, 19.

(4) Sozomen H. E., VI, 20.

مغائرهم بواسطة والي الشرق، ويُلزَموا بتقديم الوظائف الواجبة عليهم نحو وطنهم، وإلاَّ فإنهم يفقدون جميع ممتلكاتهم، وتوهب لمَن يقوم عِوضاً عنهم بهذه الوظائف.

أقول إن هذه القوانين — نظراً لسوء نية ڤالنس — ربما قد وُضعت لإزعاج سكون الرهبان. ومع ذلك فلكونها تتضمن في ذاتها بعضاً من العدالة، كما أنها تتوافق مع التعهُّد الذي كان الرهبان يأخذونه على أنفسهم بأن يتركوا كل شيء من أجل يسوع المسيح، كما أنها لم تفرض على الرهبان أكثر مما كانت القوانين الصادرة عن الرؤساء الأكثر تديُّناً تفرضه على الإكليروس؛ لذلك فلا عجب أن نجد هذه القوانين واردة ضمن مجموعة قوانين الإمبراطورين ثيئوذوسيوس وجوستنيان.

وڤالنس بهذا القانون قد هيَّأ لأعدائهم أن يفتروا عليهم. ولكنه بعد موت أخيه وجد نفسه في كامل حريته لتنفيذ سوء نيته التي ظهرت بوضوح في تجنيد جميع الرهبان في جيوشه، أي جميع الأشخاص الذين تركوا مختلف الأعمال والإهتمامات العالمية، لكي يقصروا نشاطهم على مجرد عمل الإيمان ويقتدوا على الأرض بحياة الملائكة في السماء؛ وهكذا ملأوا البراري الشاسعة وأخصبوا بالثمار الإلهية والفضائل تلك الصحارى التي كانت جدباءَ موحشة، لكن شيئاً من كل هذا لم يمنع الولاة والجنود من الذهاب إلى هذا المكان لكي يستأنفوا، تحت دوافع جديدة، رعب الإضطهادات القديمة ضد جنود يسوع المسيح الحقيقيين.

أما «لوس» الذي كان قد تعلَّم في الإسكندرية أن يضطهد يسوع المسيح في شخص أثمن أعضائه، أعني الرهبان الذين يعيشون في الإسكندرية؛ لم تَفُته فرصة مواتية كهذه من المحتمل غالباً أنه هو الذي أوجدها لتخدم قسوته. وإذ قد حصل على أمر عام موجَّه من ڤالنس إلى والي مصر بأن يطرد من الإسكندرية ومن كل مصر جميع أتباع إيمان نيقية الذين سيُرشد عنهم «لوس» (وكان والي مصر حينذاك هو تاتيان، لأننا نجده قد شغل هذا المنصب مرة ثانية سنة ٣٧٤ و٣٧٦ و٣٧٧م)، وفي أثناء ولايته نفى واستبعد أساقفة

وكهنة وشمامسة ورهباناً، وذلك بعد موت أثناسيوس؛ قرَّر لوس أخيراً أن يهاجم بالسلاح هؤلاء القديسين القاطنين في البراري، بقصد أن يجذب إلى جحوده شعوب المدن إذا ما استطاع أن يوقع أولئك الرؤوس الذين كانوا يساندون الشعوب في الإيمان، ولأنه كان واثقاً أنه لن يوقع أولئك الناس بقوة الإقناع، حاول أن يصل إلى مرامه بقوة السلاح.

لذلك أرسل «لوس» في هذا النوع الجديد من الحرب فرقاً من الفرسان والمشاة، قادها بنفسه واختار قوادها وضباطها ومساعديهم كما لو كان ذاهباً لحرب مع البربر؛ وانطلق على رأس هذه الحملة نحو الإسكندرية مصطحباً القائد العام للجيوش المصرية مع ثلاثة آلاف جندي وأمرهم أن يذهبوا ويقتلوا خدّام الله الحي. ومن ترتيبات الله العجيبة التي ساعدت على تسجيل هذه الوقائع التاريخية من شاهد عيان، وجود روفينوس المؤرخ في شيهيت في هذا الوقت بالذات، وهو الذي سجّل لنا هذه الحادثة بنفسه، يقول روفينوس(٥):

[ولما وصلوا تلك البراري وجدوا فيها رهباناً(٦) منشغلين في عبادتهم وأصوامهم وخدمتهم، عُزّلاً بلا سلاح، بل وغير مستعدين حتى للدفاع عن أنفسهم، بل ومصممين على سفك دمائهم صوناً للإيمان المستقيم الذي سُلّم لهم مرة من القديسين. كما وجدوا في تلك البراري نُسّاكاً عراة، لا يرفعون حتى أيديهم لصد الضربات الموجّهة نحوهم، بل يقدّمون الرقاب لقبول الموت دون أن يقولوا شيئاً سوى: «مبارك الله في كل شيء»!](٧)

ولكن لا الوداعة ولا المعجزات استطاعت أن تستميل القائمين على تنفيذ «الأمر الأسقفي». وهكذا منعوهم أولاً عن مواصلة الصلاة في كنائسهم التي حرّموا عليهم

---

(5) Rufinus H. E., II, 3f.

(٦) ما يقرب من ثلاثة آلاف راهب في البراري القريبة أي نتريا والقلالي وأطراف شيهيت الشمالية.

(7) Socrate H. E., IV, 24.

دخولها. ثم تقدموا أكثر مستخدمين السلاح، وصنعوا في هذه البراري شروراً وقسوة وفظائع تفوق كل تصور.

لقد انطبق على هؤلاء النساك ما قيل عن الأبرار القدماء الذين احتملوا الهُزء والجلد والعُري والقيود والحبس، كانوا يُرجَمون ويُقتَّلون بحد السيف، وكانوا فعلاً تائهين في الجبال والبراري في جلود غنم وجلود معزى، متروكين مذلين مكرو بين مضطهدين، مُعتزلين الدنيا في المغائر وشقوق الأرض، هؤلاء الذين لم يكن العالم مستحقاً لهم. ومع ذلك فقد شهد العالم لهم أعظم شهادة بسبب إيمانهم وأعمالهم والمعجزات التي صنعوها بنعمة يسوع المسيح التي كانت تجري على أيديهم. ولكن العناية الإلهية لم تسمح بكل هذه العذابات الواقعة عليهم إلاَّ لتزكية إيمانهم وحبهم وصبرهم، ولخير باقي المؤمنين الذين كانوا ينتفعون بمثال تقواهم.

والقديس چيروم(٨) وأوروس(٩) يؤكِّدان أن جماعات كاملة من الرهبان سفكوا دماءهم في نتريا على أيدي الوالي «لوس» مدَّعي الأسقفية، لكن الله لم يسمح بأن تُعرف أسماؤهم، فصاروا شهادة صامتة للجندي السماوي المجهول!

فلما ملَّ «لوس» من إزعاج القديسين وانهزم أمام انتصار حبهم، أمر القائد بأن يُنفَى الآباء الرؤوس المعتبرين زعماء للطغمات الرهبانية، فأمسكوا بالمقارَيْن معاً(١٠). و بعد ذلك مسكوا جماعة من نتريا تتكون من إيسيذوروس، وهيراكليس، وبموا، و بيسيمينوس، وأدِلْفيوس، و بافنوتيوس وأمونيوس ذي الأذن الواحدة(١١)، ونفوهم إلى فلسطين. وكانت شهوة الوالي «لوس» أن يقتلع هؤلاء الآباء القديسين بعيداً عن

---

(8) Chronicon, anno 379 (Migne, PL XXVII, col. 697).

(9) Historia adversus pagenos, VII, 33, p. 551.

(١٠) يؤكِّد كل من روفينوس وسقراط أن مقاريوس المصري ومقاريوس الإسكندري نُفيا معا إلى جزيرة في الدلتا. Socrates H. E., IV, 24.

(11) Pallad. Laus. Hist., ch. XLVI.

رعيتهم، ويُخرجهم من مغائرهم، ليبطل فاعلية إيمانهم، فأمر بالقبض على المقارّيْن سِراً أثناء الليل ومعهم شخصان فقط ممّن اعتادوا خدمتهم: وتقول المخطوطة: [إن ذلك كان في ٢٣ من شهر برمهات، وهو اليوم الذي نفاهم فيه «لوكيوس»] (١٢). وأخذوهم إلى جزيرة مصرية محاطة بالمستنقعات في وسط الدلتا (١٣) لا يقطنها مسيحيون قط، حتى لا يجدوا فيها أيّــة تعزية ولا يمارسوا فيها تدريباتهم المعتادة. ويتفق كل من روفينوس وسقراط وسوزومين على أن هذه الجزيرة كانت في مستنقعات الدلتا.

وكان في هذه الجزيرة هيكل قديم فرعوني لأحد الآلهة المصرية القديمة التي كان سكانها يوقّرونه جداً الأمر الذي كان يشدد تمسُّكهم بالوثنية. وعندما اقتربت السفينة التي تحمل القديسَيْن إلى الشاطىء، اضطرب الشيطان، وانزعج، ودخل في جسد ابنة الكاهن الوثني، الذي كان موضع احترام كافة الشعب هناك. فكانت تطلق صرخاتها، وتجري في كل ناحية وسط الشعب، وتصر بأسنانها، ويخرج من فمها لعاب، وتتشنج بطريقة مزعجة؛ ثم انطرحت عند أقدام الرهبان. وحينئذ نطق الشيطان في فمها، وتكلمت كما تكلمت من قبلها العرّافة في مدينة فيلبي في سفر الأعمال: «يا عبيد يسوع المسيح، ما أرهب قدرتكم. هل يجب يا عبيد الله العظيم أن تأتوا لتطردونا من المكان الذي نقيم فيه منذ زمن طويل؟».

وبدأ المقاران يصليان بالقوة المعطاة لهما من الله، وأمرا الشيطان بالخروج. وهكذا اضطر للهروب، تاركاً الفتاة منطرحة على الأرض (وكأنها مائتة). فصلى القديسان من أجلها، وأقاماها، وأعاداها إلى أبيها، في تمام صحة الجسد والروح.

وانتهز القديسان هذه الفرصة للكرازة بإيمان المسيح لهذه الشعوب، التي أعدتهم هذه التجربة لقبول الإيمان. وهكذا تغيرت هذه الجزيرة من عبادة الأوثان إلى الإيمان

---

(١٢) المخطوطة ١٨ س — مكتبة دير القديس أنبا مقار — ص ٤٥.

(13) Ruf. H. E., II, 4; Socrates, H. E., IV, 24; Sozom. H.E., VI, 20.

بالمسيح. وكانت الفتاة التي شُفيت، هي وأبوها وجميع أقاربها، أول الساجدين عند أقدام هؤلاء الرسل الجدد سائلين ماذا ينبغي أن يفعلوا ليخلصوا؟ واقتدى بهم كل الذين شاهدوا هذه المعجزة، بل وكل سكان الجزيرة. وكان دخولهم إلى الإيمان بغيرة وحرارة، حتى إنهم هدموا في الحال التمثال الذي كانوا يقدّسونه من قبل، وأقاموا كنيسة للمسيح، وقبلوا المعمودية، وتعلّموا بفرح كل ما يختص بالإيمان المسيحي. فلم يحتاجوا إلى زمان لكي يصمّموا على اعتناق ديانة نظروا براهينها المفحمة، ليس بكلمات بل بمعجزات.

وهناك فقرة في القصة التي تقدمها المخطوطة رقم ١٧ س، بمكتبة دير أنبا مقار، ص ٣٦، عن نفي المقارَيْن؛ تفيد تحديد زمن بناء هذه الكنيسة بدقة لا بأس بها، إذ تقول المخطوطة:

[وكان إيغومانوس الإسكندرية يأتي إلى القديس أنبا مقاره، ليزوره في منفاه وهو في السجن (الجزيرة)، فسأله أبونا أنبا مقاره الكبير أن يأتي إليه بقليل ميرون من خزانة الأب البطريرك أنبا بطرس خليفة أنبا أثناسيوس، فقال له الإيغومانوس إن أنبا بطرس ليس له على الكرسي سوى ستة أشهر وما لحق بعد أن يصلي على الميرون...].

والمعروف أن أنبا بطرس اعتلى الكرسي المرقسي في ١٦ مايو سنة ٣٧٣م، و بذلك يكون قد تحدد بناء هذه الكنيسة في جزيرة المنفى حوالي نوفبر سنة ٣٧٣م... والمخطوطة تعود وتقول: [إنه تم تدشين الكنيسة بالميرون في ١٠ طوبة وهو تذكار عماد ربنا يسوع المسيح].

فهؤلاء الرجال الجديرون بكل إعجاب حينما طُردوا من موطنهم لدفاعهم عن عقيدة «وحدة الجوهر». صاروا أكثر اشتهاراً بالإضطهاد الذي عانوه، وخلّصوا ليس فقط نفوسهم، بل وأيضاً نفوس الآخرين، وثبّتوا بهذه المعجزات نفس الإيمان الذي كان يُرجى هدمه بنفيهم.

فلما عُرف خبر انتصار يسوع المسيح هذا في الإسكندرية، لم يكن غيظ الأسقف

الكاذب «لوس» (لوقا) قليلاً، فإنه خاف أن ينقلب عليه الشعب، وخصوصاً الذين هم من حزبه، فيُلام بسبب هجومه على القديسين العظام، و بسبب ظهوره بمظهر مَن يحارب ليس الناس بل الله ذاته. ولم يكن هذا مجرد خوف، بل حدث بالفعل أن الشعب ثار على هذا الأسقف الكاذب «لوس» وصب عليه غضبه طالباً من الله أن ينتقم منه، ما لم يطلق سراح القديسين. ولخوف الوالي من النتائج الخطيرة المنتظرة من هذا الشغب، اضطر أن يأمر بإرجاعهم سراً. فتركهم يعودون إلى براريهم ومغايرهم، وكان ذلك في سنة ٣٧٦م([14]). و بعد ذلك بسنة واحدة طُرد هذا الأسقف الكاذب الشرير من كرسيه سنة ٣٧٧م. أما جماعة نتريا فعادت، حسب تحقيق بطلر، سنة ٣٧٥م([15]).

وهكذا كان اضطهاد هؤلاء القديسين سبب مجد لهم وللكنيسة كلها. ويقول روفينوس إنه يروي هذا الإضطهاد كما رآه بنفسه، إذ كان له شرف الإشتراك في الآلام التي يتحدث عنها. ولكن يبدو أن باللاديوس يؤكِّد أن القديس بموا (بامو) لم يكن مع المقارَيْن، بل نُفي إلى قيصرية في فلسطين.

ولا تزال الكنيسة القبطية تعيِّد لرجوع القديس مقاره المصري وزميله الإسكندراني من منفاهما في ١٣ برمهات (٩ مارس يولياني، ٢٢ مارس غريغوري)، حيث يقتبس السنكسار القبطي الكبير (باسيه) قصة منفاهما، بتدقيق أكثر، كتبها يوليوس الأقفهصي مستنداً على وثائق من سقراط. والقصة بكاملها لا تزال غير معروفة بتدقيق كامل، وهي محفوظة في مخطوطة بباريس([16]).

(14) Socrates H. E., IV, 37.

(15) Butler, H. E., II, p. 226.

(16) B.N., Fonds Arabe, No. 213, fol. 20.

الفصل الثاني عشر

خطاب أنبا مقار الأخير ونياحتـــه

حـدث مرة أن أرسل شيوخ جبل البرنوج (نتريا) إلى أنبا مقار يقولون له: «سر إلينا لنـشاهدك قبل أن تنصرف إلى الرب، ولا تضطر الشعب كله، أي الرهبان، إلى المجيء إلـيك». فلما سار إلى الجبـل اجتـمع إليه الشعب كله (الرهبان) وطلب إليه الشيوخ قائلين: «قُلْ للشعب كلمة، أيها الأب». فقال:

يا أولادي الأحباء...

كثيـرة هـي أمجاد القديسين(١). وينبغي لنا أن نَغير من أجلها(٢)، ونطلب معرفة تـدبيـرهم وعملهم، ونفتش لنعرف كيف استحقوا الملكوت ونالوا النعيم في تلك الرتبة؛ لأنهم لم يـشتروهـا بمال، بـل كما تحـقـقناه منهم، أنهم اقتفوا فقط آثار القديسين الذين قبلهم.

وقد اقتنوا المسكنة، وتواضع النفس، وانسحاق القلب، والمجاهدة في الصلاة، والمحبة لكـل الـناس، وخوف الله الـذي لم يفارق قلوبهم، والذي لا يبدده الغضب، هذه هي فضائل النفس!

وأمـا الجسد، فرفضوا جميع شهواته؛ وكانوا جياعاً عطاشاً لا ينعّمون ذواتهم بشيء من

(١) «لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غِنى مجد ميراثه في القديسين.» (أف ١: ١٨)

(٢) «حسنة هي الغيرة في الحسنى.» (غل ٤: ١٨)

بهذا التدبير نالوا هذه الذُكصا (المجد أو التسبحة)، وأخذوا إكليل ملكوت السموات.

فالآن أي شيء كان لهم وليس هو لنا الآن؟ سوى أنهم تركوا كل أهوية قلوبهم من أجل الرب، وحملوا الصليب، وتبعوه، ولم يفصلهم عن محبته شيء آخر؟

أما نحن فليس فينا حب الله تاماً كاملاً مثل آبائنا القديسين، الذين أحبوا الله حُبًّا خالصاً، ليس فيه غش ولا رياء، ولم يبعدهم عن محبته شيء من أمور العالم البتة، لا مال، ولا أولاد، ولا أهل، ولا امرأة، ولا أخ، ولا سلطان، كمثل إبراهيم الذي أحب الله حباً تاماً، ولم يشفق على ابنه إسحق لما أمره أن يذبحه فأطاعه وعمل مرضاته، وكمثل الشهداء القديسين الذين اختاروا حب الله على حياتهم، وصبروا على صعوبة التعذيب وتقطيع أجسادهم وسفك دمائهم، لأجل محبة الله التي انغرست فيهم وأكملوا قول بولس الرسول: «ما الذي يفرِّقني عن حب المسيح؟ أشدة أم ضِيق أم اضطهاد أم جوع أم عُري أم خطر أم سيف، لأن هذه كلها وما هو أعظم منها لا يمكن أن تفرِّقني عن محبة الله في المسيح».

فالآن يا أولادي قد وجب علينا، إذ قد تركنا محبة العالم ولبسنا زي العبادة واتَّبعنا الرب يسوع، أصبح علينا أن نحبه أكثر من الأهل والوالدين والإخوة والأولاد وكل الممتلكات الفانية التي في العالم، حتى نكمل الوصية ونفوز بتتميم أوامره المقدسة، فننال الطوبى مثل القديسين.

يا أولادي فِرُّوا من الخطية، واصبروا إلى الموت في حفظ وصايا الرب، ولا تقبلوا مشورة العدو من جهة كسر أي وصية مهما كانت صغيرة، لأن كسر أي وصية، صغيرة كانت أم كبيرة، يُغضب الله.

وأنا أريد أن تكون أنفسكم يا أولادي مسكناً دائماً لله، حتى تتفكروا على قريبكم

بالخير دائماً، ولا يكون فيكم مَن يذكر الشر لأخيه أو يتحرك بالبُغضة عليه، فإن القلب الذي يتفكر بالشر والبغضة لا يمكن أن يكون مسكناً لله.

لقد علمتم المكتوب: «إن أنتم أحببتم بعضكم بعضاً، فإن الله يكون ساكناً فيكم». فاقتنوا الحب بعضكم لبعض، لكي تقتنوا لأنفسكم كل تدبير الفضائل الأخرى في رهبنتكم، كل أيام حياتكم.

اكشفوا عن وجوهكم برقع الظلمة، الذي يمنعكم من أن تبصروا حلاوة محبة الإخوة وتعرفوا مقدار كرامة هذه الفضيلة. اسمعوا بولس الرسول كيف يقول: «أنتم مسكن الله الحي». فامسكوا هذا في قلوبكم، ولا تقولوا الشر على قريبكم، أو تُحزنوه، لئلا تُغضبوا الله الساكن فيه!!! لأن كل كرامة يُكرِم بها الإنسان أخاه هي واصلة بالمسيح سبحانه، وكذلك كل ما يُكرَم به المسكين والغريب، لأنه هو القائل: «مهما فعلتم بهؤلاء فبي فعلتم».

أطلب إليكم، إذن، أن تفرُّوا من كل وقيعة ودينونة، لأنها تُهلك نفوسكم. أما النفس التي لا تقبل الوقيعة، ولا تفكر في السوء على أحد، ولا تميل الى حب الدرهم، ولا تميل إلى شهوات العالم، فإنها تستضيء مثل الشمس، إذ تصبح نقية سالمة من العيوب. فإن تغلبت عليها الشهوة وَسَعَتْ إلى النميمة والوقيعة والحسد وحب الفضة، فإن بقية الخصال الرديئة تكمل فيها، فيُنتزع منها نعمة النقاوة والإستضاءة.

اعلموا أن الحكيم إذا وقع في حفرة مَرَّة، فإنه يتحرز منها، حتى لا يقع مرة أخرى. واعلموا أنه كما كانت الحية إناءً للعدو، و بواسطتها هلك آدم ووجب عليه الموت؛ هكذا أفعال السوء، فهي مدخل للعدو، الذي بها يُهلك نفس فاعلها. فالواجب، إذن، أن نحفظ أنفسنا جداً لئلا نصير آنية للشيطان.

يا أولادي احفظوا أسماعكم لكي تبقى قلوبكم نقية، واهربوا من كل نجاسة، لأن

الذئاب في هذا الزمان كثيرة، وهي تسعى لتخطف الخراف الساذجة.

وإن اتفق لأحد منكم أن زلّ وأوجع قلب أخيه بكلام أو وقيعة، فعليه أن يندم في الحال ولا يعود إلى ذلك، حتى لا يزيد النار حطباً. وإن هو سمع كلاماً ردياً عن أحد إخوته فعليه أن يرد الكلام إلى الصلاح، حتى يملك الحب بينكم والسلام، فيثمر فيكم قول المخلّص: «طوبى لفاعلي السلام لأنهم بني العلي يُدعَون». وهكذا يحرص كل واحد منكم أن يمدح أخاه في غيبته، حتى إذا سمع أخوه ذلك عنه يزداد في محبته.

واعلموا يا أولادي هذه الحقيقة: إن في قلب الإنسان «سراً إلهياً». فمتى كان قلب الإنسان غير نقي ونيته غير صافية من نحو أخيه أو صاحبه، فلا بد و بكل ضرورة أن قلب أخيه يحس بذلك، مهما حاول هو أن يتجمّل بلسانه من نحوه. وكذلك أيضاً من جهة المحبة، إذا كان قلب أخيك يحبك، فلا بد أن قلبك يستشعر بذلك وتحبه. لذلك احرصوا، بكل جهد، أن لا يتغيّر قلب أحد منكم على صاحبه. فإن حدث أن سمع أحد كلاماً صدر من أخيه عنه، ولم يتحقق أنه صحيح أو كذب، فلا يخبئه في قلبه، ويحقد عليه، ويبدأ يحاسنه بلسانه، وقلبه غير نقي؛ فهذه الحال تولّد البغضة المُرة والمقت، وهي تغضب الله.

فالإنسان إذا سمع من أخيه شيئاً يوجع قلبه، عليه في الحال أن يأخذه فيما بينه ويعاتبه عليه، فإن كان صحيحاً، ينبّهه أن لا يعود إلى ذلك، وإن كان كذباً، فسيزول ما في قلبه في الحال. ولكن إذا أهمل الإنسان ذلك وتركه جانباً، فإن الحقد يتولد فيه شيئاً فشيئاً. وهذا هو هلاك النفس، هنا وفي الآخرة!!

يا أولادي، كل مَن يسمع التأديب ولا يقبله، ولا يعمل به، فهو خاسر نفسه، ويصبح مُعذّب النفس دائماً، لا يهدأ له سر أبداً، ويصبح غضوباً حزيناً كئيباً مهموماً مغموماً، كثير الأفكار، تطالبه نفسه بعمل الشر وبالكلام الرديء؛ لأن الأدب مثله مثل طريق الملك التي عليها الحراس يحرسونها ليلاً ونهاراً، فكل مَن يسلكها بالنهار أو بالليل

يكون آمناً على نفسه!! أما الجهالة وقلة السمع والإعجاب بالنفس فهي طريق وعرة غير مسلوكة، وكل مَن مشي فيها ضلَّ وتعب، وربما هلك، لأن اللصوص والدعرة موطنهم هناك!!

وكل مَن مشي في الطريق المسلوكة واتَّفق أن عثر في أمر أو عارض، كان عذره مبسوطاً وعلاجه حاضراً؛ أما مَن ترك عنه طريق الملك، واختار أن يسير في الطريق الوعرة، فلا عذر له ولا علاج.

وأنا أطلب إليكم بكل قلبي، أن لا تغيب الشمس على غضبكم، ولا يبيت أحد منكم وفي قلبه دغل أو حقد من نحو أخيه، فهل يعلم إن كان يدركه المحتوم في تلك الليلة فيمضي إلى الرب وهو ملوَّث القلب، نجس الفكر؛ فيضيع تعبه ويذهب خاسراً الدنيا والآخرة؟

أنا أوصيكم يا أولادي أن تبالغوا في خدمة القديسين (إخوتكم الرهبان)، والمرضى، وادفعوا لهم على قدر قوتكم من عمل أيديكم.

واعلموا أن عمل كل واحد منكم محسوب له، إن كانت خدمة أو صلاة أو مطانيات أو دموعاً أو صوماً، حتى الكلمة الواحدة التي يقولها الإنسان بالمحبة في شأن الله (للتعزية)، أو عمل اليدين، هذا كله محسوب لكم؛ فلا تخافوا يا أولادي، لأن مخلِّصنا لا يظلمنا بشيء، وكل تعب يتعبه أي واحد منا، سوف يُستعلن له وقت خروج النفس من الجسد.

فاستيقظوا، يا أحبائي، ولا يكون الذين يأكلون ويشربون ويرقدون بلا قدر، والذين لا يلومون أنفسهم، يظنون أنهم يتساوون بالذين يتعبون ويسهرون ويحرصون في كل شيء من أجل الله. فاجتهدوا إذن وأحبوا التعب، بل ليكن عندكم تعب الجسد حلواً شهياً، بلا ملل، ولكن ليس بتكلُّف لأن متكلِّف الشيء ضعيف القدرة عليه. أما المشتهي

التعبَ فيسعى إليه بنشاط، وفرح قلب، بغير ضجر. وطوبى لمَن يبقى في تعبه فَرِح القلب، ويدوم فيه غير متكلِّف عليه، لأنه باب الفردوس المفتوح.

أما الذي يطيع ضعف الجسد، فإنه يصبح في النهاية غريباً من تلك الخيرات المعدة للمجاهدين، ويتولاه الندم في القيامة، حينما تُستعلن الأكاليل والمواهب السمائية، للذين تعبوا، ويبقى هو بعيداً لا يملك إلاَّ الحزن والكآبة التي لا تنفع!

ماذا يفيد الإنسان إذا تنيح في هذه الدنيا بالطعام والشراب والنعيم الزائل زماناً يسيراً، ثم يقع هناك في العذاب الدائم؟

وأُعرِّفكم أيضاً أن الذي يلازم فضيلة واحدة من الصلاح ثم يفرِّط في فضيلة أخرى، فهو يشبه إنساناً أخذ إناءً وملأه زيتاً، وأهمل فيه ثقباً، ثم ركب وسافر، فما وصل إلى نهاية سعيه إلاَّ والإناء فارغ مما فيه!! هكذا كل مَن يربط على وصية واحدة يهتم بها ويسلك في باقي الفضائل بغير صواب، فإن عمله لا يُقبل، وتعبه يضيع. فاحرصوا على حالكم، وميِّزوا أعمالكم، حتى لا يلحقكم تفريط. ولا يغلب عليكم هوى، لئلا تصيروا مثل مَن يتصدق بكل ما عنده ويعتقد أنه بتلك الصدقة ينجو من تفريطه في باقي الوصايا؛ أو مثل مَن يعتقد أنه يخلص بإطعام الخبز أو إضافة الغرباء أو زيارة المحبوسين أو المرضى، وهو مهمِل لبقية الوصايا؛ أو كمثل مَن يجتهد في الصلاة ليلاً ونهاراً، وهو خالٍ من المحبة أو الرحمة و بقية الوصايا؛ أو كمثل مَن يصوم كل زمانه، ويحرم نفسه من كل خيرات الدنيا، وهو مفرِّط في الوصايا الأخرى؛ أو مثل مَن يتمسك بالتعفُّف والمسكنة، ثم يقتني الإسترخاء والكسل، مقتنعاً أنَّ بتعفُّفه ومسكنته يخلص؛ أو مثل مَن يلزم الطهارة الجسدية، ثم هو لا يبتعد من أفكار الشر والوقيعة والحسد، معتقداً أن بطهارة جسده ينال الملكوت السمائي.

هكذا كل مَن يتمسك بهذه الوصايا المفردة لا يكاد أبداً يخلص بها، لأن الوصايا مثل السلسلة، متى انفكت منها عروة تلفت بأكملها، فمَنْ توانى عن وصية من الوصايا ضاع

تعبه!

يـا أولادي، افهموا كلامي وخذوه، ادخلوه داخل خزائن قلوبكم، لأنه سيأتي وقت تُسـألـون فيـه عن ثمر كلامي وتعطون جواباً عمَّا سمعتموه مني. فلا تجعلوا كلامي لكم سبب دينونة، لأني إنما كلمتكم لخلاصكم ولصحة أنفسكم.

اهـتـمـوا يـا أولادي بـخـلاص أنـفـسكم، وارجعوا إلى الرب بتوبة نقية من الغش، وبـبكاء وتضرُّع اعترفوا بمناقصكم، ولا تكونوا كالبهيمة التي لا حس لها ولا حكمة عقل، تقع في حفرة وتعود إليها.

واعلموا أن التوبة قائمة الآن ومستعدة، وكل الفضائل تلحقها، لكل مَن يجاهد فيها. لأن شـأن الـتـوبـة جليل، وعظيم هو حسن عاقبتها إلى الأبد. والذين يثبتون على مرارتها، ويـتمسكون بمسلكها، ولا تتغير قلوبهم عنها، يأخذون أجراً عظيماً عنها، وينالون الملكوت بسببها، لأن الـتـوبـة الـنـقية مفتاح كل الفضائل، وبدء كل صلاح، وسلَّم الخيرات الأبدية، والذي يقتنيها يسهل عليه باقي الوصايا شيئاً فشيئاً.

ولـكـن التوبة ليست هي عن خطايا الجسد فقط، وإنما عن كل الخطايا سواء للجسد او للنفس. وكل مَن اجتهد فيها فهو الرجل الكامل الذي بدأ يبني على الصخر!

يـا أولادي أنـا أفـزع إلى الله، مـرتـعـداً من أجلكم، حتى لا تُصطادوا بفخ الغفلة ولا تـميل قلوبكم إلى اعتياد التهاون، لأن ذلك يبعدكم عن حرارة التوبة، ويورثكم الندامة في النهـايـة، حيـث لا يـنـفـع حينئذ ندم. فما دمتم في الجسد، فامسكوا التوبة ولا تدعوها تـفـلـت منكم؛ لأن كل مَن فارقها، فقد فارقته الرحمة، وملكوت السموات. اضرعوا دائماً وابـكـوا بـكـاءً قـدام مخـلِّصنا، حتى تستحقوا سماع الصوت: «مغفورة لك خطاياك»!! صالحٌ هو مخلِّصنا، وهو محب للبشر، يفرح بتوبتكم ويطلب من الآب لأجلكم، ولكن لا تتهاونوا أنتم بطيبة قلبه وترجعوا إلى خطاياكم، فتصبح الطلبة من أجلكم بلا نتيجة.

فمَن هو الجاهل إلاَّ الذي ترك عنه التوبة ، واستكان إلى الإسترخاء والغفلة ، فيهدم كل ما بناه بالتعب والدموع. أحبوا إذن حلاوة الجهاد، لأن التعب والحرص يأتي بالإنسان إلى النياح، ويشفي جميع أوجاع قلبه، ويجلب له خيرات السماء، وفي النهاية يصير مسكناً للروح القدس.

فلنتُبْ ما دام لنا زمان، قبل أن يبلغ الوقت، ونُدعى للخروج من الجسد؛ لأن التوبة هي لزمان قليل بعد، لأن الذي يموت في خطاياه، يقول الله إني لا أذكر له شيئاً من صلاحه. إذن فلنحرصْ من الآن، حتى نجد عزاءً في زمان الشدة، كالفلاح الذي إذا لم يتعب ويحرث ويزرع في زمان الشتاء، لا يجد في زمان الجفاف ما يجمعه إلى مخازنه ولا ما يقتات به.

هكذا نحن، فليحرصْ كل واحد منا على قدر قوته؛ فإذا لم نقدر كلنا أن نكلَّل مع الكاملين، فلا بأس أن نكون دونهم؛ ولكن لا نكل يا أحبائي في الجهاد، لنشارك أحباء المسيح، ولا نكون مع ذلك العبد الذي دفن فضة سيده ولم يعمل شيئاً. نحن نجاهد على قدر قوتنا، مهما كان قليلاً، لأن إلهنا صالح، وهو يكافىء، عوض القليل، الكثير.

ولنجتهد لنتشبَّه دائماً بالصالحين، لئلا نندم عندما نجدهم في النهاية في مجد عظيم، فنبدأ نلوم أنفسنا قائلين: يا ليتنا كنا سلَّمنا أنفسنا للموت في الجهاد، حتى نرث هذه النعمة مثلهم؟ طوبى يا أولادي للذين يعملون الآن بكل قوتهم، فإن ساعة واحدة في ذلك المجد والراحة تُصيِّرهم ينسون كل تعبهم، احرصوا إذن لئلا تُعدموا تلك النعمة! مكتوب في رسالة بولس الرسول أن اهتمام الجسد موت واهتمام الروح حياة، فليكن اهتمامنا الآن هو في الروح، لكي نحيا إلى الأبد، ونرث النعيم الدائم.

يا أولادي، أنا أُعطي وصيتي لكل واحد منكم، أن لا يدنو من الأسرار المقدسة إلاَّ وهو مستبرىء نفسه (يحاكمها فيجدها بريئة). أما إذا كان بينه وبين أخيه وَجْدٌ (حقد) فليمضِ إليه، ويصالح قلبه، ويضرب له مطانية (توبة واستغفار)، وبعد ذلك

يتناول من الأسرار الطاهرة: عالمين أن محبة الإخوة ومصالحة قلوبهم بعضهم من نحو بعض هي النعمة كل النعمة، وهي العبادة وهي الملكوت.

وأما الغضب، والحقد، والتعيير (الشماتة)، والحسد، والبغضة، والغش، والرياء، فهذه هي صناعة العدو الملعون؛ ومَن يتبع شيئاً منها فهو يشبه بالشيطان ويشتغل بصناعته؛ والذي يطلب خلاص نفسه، يهرب من هذه جميعها.

واعلموا أن مخلصنا لم يقاتِل الشيطان بارتفاع لاهوته، لكنه وضع نفسه وتنازل حتى غلب كبرياءه وتجبُّره؛ وعلَّمنا أن نقاتله بهذا التدبير حتى نغلبه؛ فلنلحق باتضاع معلمنا، حتى يعطينا الغلبة في قتال عدونا.

يا أحبائي، اجعلوا أنفسكم غرباء عن هذا العالم، لكي تصيروا أهلاً للخيرات الأبدية.

أول معصية، كانت بسبب الطعام في الفردوس؛ وأول الجهاد الذي جاهد به مخلصنا، حتى غلب العدو، هو بالصوم. فلنجاهد إذن كما علمنا، ونتقدم الآن إلى جهاد الصوم، بحيث يكون تعبه حلواً عندكم، واطلبوا الزيادة حتى تأخذوا المكافأة مضاعفاً.

واعلموا أن صوم الأربعين المفروض علينا، ليس الجهاد به وحده يدخل بنا إلى الملكوت، وإنما صوم الأربعين هو الخميرة للسنة كلها، فيجب أن نوفيه باحتراس؛ لأن الخميرة إذا فسدت، أفسدت العجين كله.

والصوم مربوط بعدة فضائل، لا يثمر إلاَّ معها وبها، وجميعها أنتم تعرفونها؛ فاحترسوا في صومكم من الغفلة، لأن أعداءنا الذين يحسدوننا إذا هم ظفروا بنا لن يَرْثوا لهلاكنا؛ وكلما غفلنا نحن، ازدادوا هم حرصاً على هلاكنا؛ فلا تُفرحوا أعداءنا، ولا تُكمِّلوا مشيئة مبغضينا، لأنهم يريدون تبديد أتعابنا.

وفي أيام الخمـاسين، إذا لم تـقـدروا أن تـصوموا أو تضربوا مطانيات، فالزموا السهر وقراءة الكتب الإلهية، بنشاط، وتمموا خدمتكم بحرص، ولا تتوانوا عن الذهاب إلى الكنيسة، بمخافة؛ واعلموا أن الملاك الموكل بالسرائر المقدسة يعلم المستحق ويفرح به ويطوّبه، أما غير المستحق فيحزن عليه ويعطيه الويل لأنه إنما يأخذ ناراً في جسده.

فاحترسوا يا أولادي وتحفَّظوا، حتى لا يتقدم أحد إلى الأسرار المقدسة وهو في شك بسبب من الأسباب، لئلا يهلك وهو لا يدري.

واجعلوا دخولكم في الكنيسة مبكراً، لتسمعوا المزامير والتسبحة ثم قراءة الكتب — كما علَّمنا الرسل في قوانينهم — قبل أن تأخذوا جسد المسيح ودمه المحيي، لأنه يطرد من نفوسكم كل قوات الظلمة ويطهر قلوبكم من كل دنس، لأنه شفاء للنفس وبه تتحفظ من كل قوات العدو، كما قال سيدنا: «كل مَن يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه».

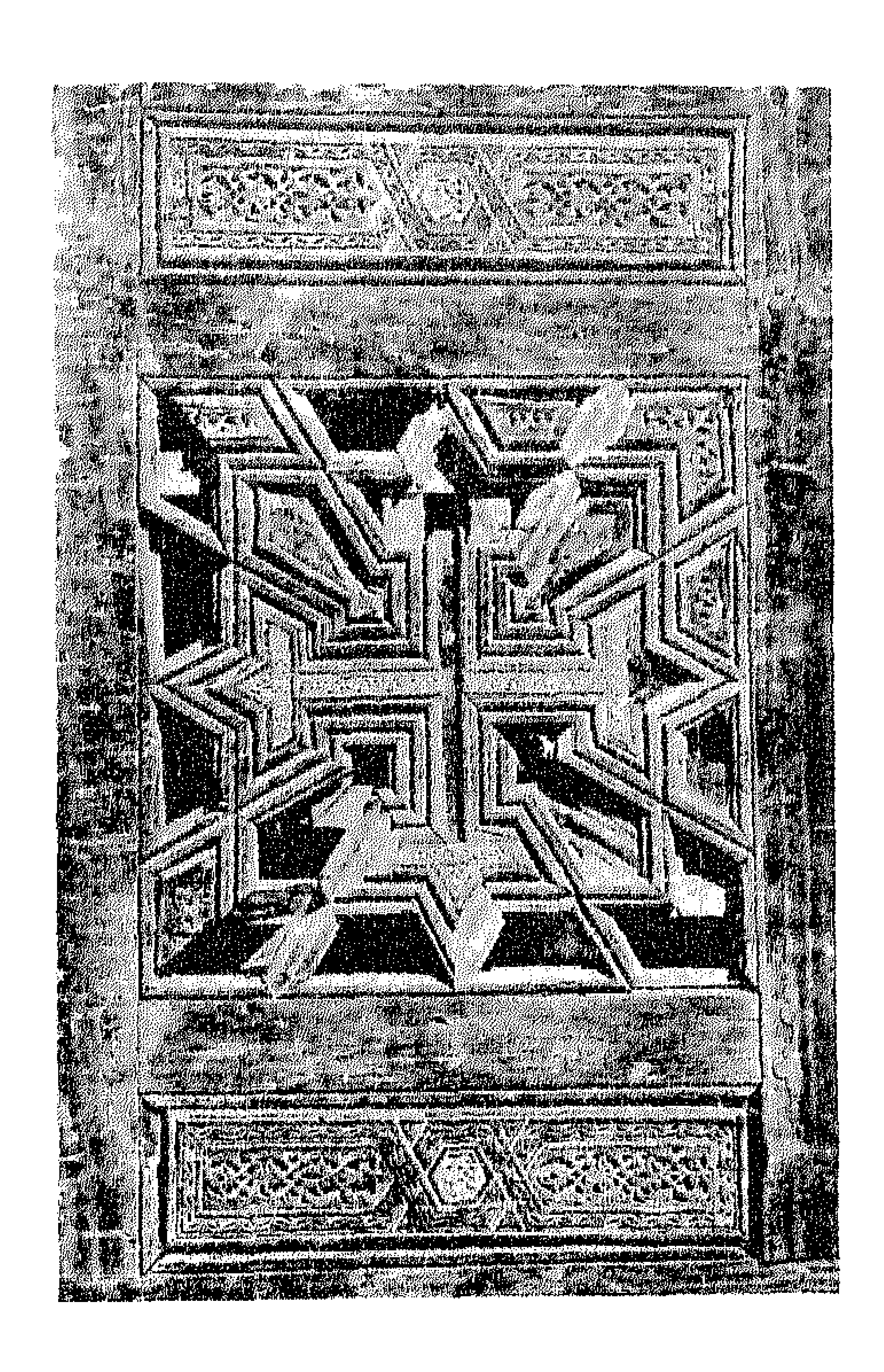
أما الذي يتهاون ويدوم بلا قربان، فإن قوات الظلمة تقوى عليه، وتدنس قلبه، ويكون غريباً من النعمة التي أعطاها له مخلِّصنا.

فينبغي لنا أن لا نترك في أنفسنا علَّة تمنعنا من التناول، فنكون ملازمين نقاوة الضمير وطهارة النفس، متحدين دائماً بالمسيح، لأنه بذلك ننعتق من سلطان العدو، ولا يبقى له فينا مطمع، ولا يجد إلينا سبيلاً لخسارة أنفسنا وهلاك تعبنا وإبعادنا من خالقنا.

فتيقظوا بالروح، وامتلئوا بالإيمان، حتى تمضوا إلى الرب بدالة، ووجوهكم مكشوفة، وأعمالكم نيِّرة، لتستحقوا الدخول إلى أورشليم السمائية، وتنالوا الإكليل الذي لا يبلى؛ وطوبى لمَنْ وجد ذلك عند ظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي له المجد مع أبيه وروح قدسه إلى أبد الدهور آمين.

* * *

ثم أنه في نهاية حديثه قال لهم : «أيها الإخوة لِنَبْكِ ، ولتَسِلْ دموعنا من أعيننا الآن ، قبل أن نمضي إلى حيث تحرق دموعنا أجسادنا بدون نفع » . ثم بكى أنبا مقاره ، فبكى الكل معه ، وخرّوا على وجوههم قائلين : «أيها الأب صلِّ لأجلنا» .



الحصن : كنيسة الملاك ميخائيل ، بالطابق الثالث

صورة حديثة لجزء علوي من الحجاب ويظهر فيه وحدة لصليب مطعّم يُعتبر من أجمل وأدق الصلبان المطعّمة ، والذي أخذناه في العمارة الحديثة كوحدة متكررة نعتز بها في كل مكان بالدير.

نيـــاحتـه

وتـقـدم أنـبـا مـقـاره في الأيام، وشاخ جداً، حتى بلغ سنُّه تسعين سنة. وفي المخطوطة القبطية يقول سيرابيون إنه عاش سبعة وتسعين سنة.

[وكـان يحـمـلـه أولاده، ويجـلـسـونـه في حـوش قـلايـتـه، ومـا كـفّ عن صراع الـشـيـاطين، وما كفَّت الشياطين عن الصراع معه، حتى في هذه السن، إذ كانوا يحـاولـون اقـتـحام قلايته عليه([1]). وكان أولاده يجاهدون في ترفيهه وهو في كبره، ولـكـنـه لم يتخلَّ قط عن نُسكه، مع إظهار شكره ولطفه لكل مَن كان يخدمه. ولم تـكـن الأحزان تقلقه، وكان متيقظاً في قلبه بالنعمة التي منحها له الرب منذ صباه وإلى شـيـخـوخـتـه، ولم تفارقه. وكانت نفسه قوية بالله وهو ضعيف أكثر من أيام صحـتـه. وضـعـف جسده من طول السنين، وانحلَّ لحمه من الأتعاب والأعمال المـتـعـبة التي كان يقوم بها طول حياته، غير أعماله التي كان يفعلها في السر، لأن تجـاربـه كانت روحانية، والذي كان يفعله ما كان يشعر به إنسان. **وإلى وفاته كـان مـتـحـفـظـاً جـداً مـن السُبْح (المجد) الباطل، كما أُمر من الكاروبيم.** ونـقـص أيضاً ضوء بصره من كثرة السهر والتعب وطول السنين، لأن حياته بلغت سـبـعـة وتـسـعين سنة، حتى بدأ يرقد على الأرض من كثرة ضعفه. وكان تلاميذه يحـيـطـون بـه، وكـان يـعـزي كل واحد على قدر رتبته ويقول: «الله يعلم أنني ما كـتـمـت عـنـكـم شـيـئاً، بل خاطبتكم دائماً بما أعلم أنه ينفع أنفسكم، وعملت بيـنـكـم على قـدر قـوتي، وكـلَّـفـت نفسي دائماً حتى لا أصير سبباً لاسترخاء أحد مـنـكـم، لا كـبـير ولا صـغير، ولا نمـت قـط لـيلة واحدة وفي قلبي غضب على أحد

(1) AMEL., AMG, XXV, p. 96.

منكم، ولا تعدّيت أعمال الله، ولا تجاوزتها، ولا نقضت محبتي لله، ولا محبتي لإخوتي المعروفين لله ولكل الخليقة، الرب يعلم ويشهد عليَّ؛ لأنه قال لي مرة: إنك يا مقاره لم تصل بعد إلى درجة أعمال المرأتين، لذلك كان تفكيري فيهما باستمرار، أما الظفر والغلبة التي نلتها على العدو فكانت بالقوة والنعمة اللتين نلتهما من الله. فلا أذكر قط أني عملت شيئاً بقوتي بل كل ما عملت من أشفية أو رحمة كان بيد قوة الله المقدسة. فاهتموا يا إخوتي بخلاص أنفسكم وتيقَّظوا لأني بعد قليل سأُؤخذ منكم».

وبعد الكلام معهم صرفهم. وكان كل الرهبان يحبونه ويخافونه كما يخافون الله، لأنه كان بينهم كقائد الجيش الذي يقوي ويعزي جنوده، وأدخله تلميذه إلى مغارته (في الداخل) وانضجع. وفي نحو الساعة السابعة ظهر شخصان قديسان مضيئان، وعليهما مجد وجلال إلهيين، وكل منهما يبتسم إلى الآخر، وتكلم واحد منهما معه قائلاً: «أما تعرف هذا الآخر؟». أما هو فسكت، كعادته، لأنه ما كان يجاوب أحداً بسرعة، بل يتمهل ثم يجاوب، فقال له: «إنه الأب باخوم أب رهبان دوناسة، وقد أرسلنا الرب إليك لندعوك، فاهتم الآن بما تريده، فإنك بعد تسعة أيام ستخلع عنك هذا الجسد، وتأتي لتسكن معنا»، ثم غابا عنه.

وظل الأب مطروحاً على الحصير، لا يستطيع أن يقوم من الوجع الصعب، لأنه كان ملتهباً بالحمى كالنار، وفي اليوم السابع والعشرين من برمهات ظهر له الكاروبيم، الذي كان معه منذ الإبتداء، ومعه جمع كثير من الروحانيين، وقال له: «أسرع وتعال فإن هؤلاء كلهم ينتظرونك». فصاح أنبا مقاره بصوت خافت قائلاً: «يا سيدي يسوع المسيح حبيب نفسي اقبل روحي إليك». وأسلم الروح. ولم يكن في هذه اللحظة معه أحد إلاَّ تلميذه؛ فلما تسامع الإخوة خبر نياحته، اجتمعوا من أطراف الجبل من الأربعة الأديرة، باكين من أجل شعورهم باليُتم، لأنه كان أباً لكل واحد منهم، وتقلَّدوا منه جميعاً طريق مخافة الله.

واحتـاطوا بـالجسـد في الـكـنيسة، يتباركون منه، ويقبّلونه. وصلوا جميعاً عليه، وقدموا الـقـداس، واشتـركوا جميعاً، ثم حملوا الجسد الطاهر إلى المغارة التي بجوار البـيـعة، التي بنـاهـا هـو في حياته، ووضعوه هناك، وانصرفوا إلى قلاليهم بحزن عظيم.

وكـان الأب ببـنـودة (بـافـنـوتـيـوس) رئـيـس الـتلاميذ يعزيهم، لأن الأبوة والـريـاسـة والـتـدبير انتقلت إليه بعد نياحة القديس وقد كان رجلاً قديساً صالحاً مجرَّباً في كل الأمور متواضعاً بالأعمال.](٢)



تاج لعمود في كنيسـة الشيوخ

(٢) مقتطفات من الصفحات الأخيرة لسيرة الأب الطاهر أنبا مقار بقلم أنبا سيرابيون، مخطوطة رقم ١٨ س بمكتبة دير أنبا مقار. راجعناها على السيرة التي حقَّقها أميلينو في كتابه باللغة القبطية.

خاتمة وتعليق

القديس مقاريوس شخصية زاخرة بعناصر إنسانية ينبغي أن يُقتدى بها (١)

الإطار العام للشخصية:

١ ـ المواجهة:

[اعتاد الآباء أن يرووا عن الأب مقاريوس أنه إذا أتاه أخ في خوف، كمَن يتقدم إلى قديس عظيم متقدم في الأيام، ما كان يرد عليه، أما إن ابتدره الأخ كمَن يتحدث إلى إنسان لا قيمة له قائلاً: يا أبّا حينما كنت جمّالاً وكنت تسرق النطرون وتبيعه أما وقعت مرة في يد الحرّاس وضربوك؟...، كان الأب مقاريوس يتحدث إليه ويرد على كل أسئلته].

حينما أضع هذه الكلمات كمعيار أعلى لأخلاق القديس مقاريوس، أود أن أجذب قلوبكم إلى سر قوة هذا القديس، وأقودكم بالحق إلى المدخل الخاص أو الواجهة لأعماق روح هذا الإنسان.

إن مضمون هذه الكلمات يفيد بمنتهى الوضوح والسهولة أن القديس مقاريوس **يرفض أن تُضاف على شخصيته أية هالة بسبب أعماله أو نسكياته أو رئاسته**، فهو يصمّم أن يسلك مع نفسه أولاً ثم مع أولاده بنفس الصفات والأخلاق التي دخل بها

---

(١) مقالة أُلقيت في عيد القديس أنبا مقار في ديره بشيهيت ليلة عيد نقل جسده ٢٥ أغسطس ١٩٧٦.

الحياة الرهبانية، وبصريح العبارة كان مقاريوس يلذ له أن يعيش في أعماق نفسه علمانياً — جمّالاً يسرق النطرون — ولا يطيق أن يوهمه أولاده أو مادحوه أنه أفضل من أي علماني، وكأنما يريد أن يقول لنا أن كل ما هو سيىء أو ضعيف في حياتي هو هو أنا مقاريوس، أما كل ما هو كريم وفاضل هو هو المسيح الذي يحيا فيَّ، فكيف آخذ ما للمسيح وأنسبه إلى نفسي، أو كيف آخذ كرامة المسيح لشخصي؟!! إن هذا المبدأ الذي كان يعيش عليه مقاريوس بين أولاده يحدد لنا واجهة الإطار العام لشخصيته:

أ — شخصية أصيلة جداً لا يشوبها أي تزييف من صُنع الناس والمتملقين.

ب — يعيش واقع نفسه في أضعف صورها، لا يتنكَّر لماضيه، ولا يستعلي بمنجزات حاضره.

ج — لا يفرض كرامته ورئاسته على أولاده، بل ولا يقبل أن تكون مواهبه أساساً لعلاقته مع أولاده ومريديه، بل ويفرض — بصمت وأدب جم — على الجميع أن يكون الحديث والمعاملة على أساس من ضعفه لا قوته!

٢ — الخلفية العامة التي يتحرَّك فيها القديس أخلاقياً:

قال الأب بيتر عن تباسط القديس مقاريوس في معاملته مع أولاده:

[بينما كان الأب مقاريوس يتباسط مع الإخوة ويتحدث معهم ببساطة قلب وعدم كُلْفة (تصاغر)، بادره أحد الإخوة (صنف من الناس الذين يؤلِّهون الرؤساء): «لماذا تعمل في نفسك هكذا أيها الأب؟». فما كان من الأب مقاره إلاَّ أن قال له: «على مدى اثنتي عشرة سنة وأنا أخدم أمام الله طالباً هذه النعمة (نعمة النفس الصغيرة المتواضعة)، وأنتم تريدون مني أن أتخلى عنها»].

بهذه الكلمات تتضح لنا شخصية القديس مقاريوس من الزاوية المقابلة للزاوية الأدنى، فإن كان في الكلمات السابقة يفرض القديس مقاريوس على محدثه أن يرفع الكُلفة ليلغي من وجدانه أي إحساس بالخوف أو الهيبة حتى يستطيع مقاريوس أن يعيش ويظهر ويتكلم بصورته البسيطة الأصيلة المحببة إلى نفسه كجمَّال بسيط مسافر إلى الوطن

السمائي، نجده هنا في هذه الكلمات يفرض عدم الكلفة عينها على نفسه هو كمتكلم ومتحدث مع جماعات الرهبان من أولاده!!

وقد يبدو لأول وهلة أن هذه كلمات عابرة لسلوك عابر. ولكن القديس مقاريوس يكشف لنا هنا، عن قصد وتعمُّد، عُمقاً من أعماق حياته السرية جداً مع الله، فهو يعترف أنه ظل اثنتي عشرة سنة يصلي ويصارع مع الله ومع نفسه أن يعبر هوة تَصَنُّع الرزانة والكرامة والرئاسة والمجد البشري الزائل الذي يُغرَى به مجتمع الرهبان من نحو الرئيس، لذلك بقي مُلِحًّا ومتوسلاً لدى الله أن تكون حياته بسيطة متواضعة قولاً وفعلاً ليقضي كل حياته الرهبانية على مستوى المبتدئين و ببساطة روحهم وتواضعهم دون أن يُشعِرهم أو يُشعِروه أنه أفضل من أي أحد فيهم...

ومن رواية الأب بيتر يتكشَّف لنا، أن منظر مقاريوس وهو يتحدث مع أولاده الرهبان كان مدعاة لسخرية بعض الرهبان المتقدمين الذين وقعوا في فخ الكرامة وتصنُّع المهابة والرزانة الرئاسية التي يفرضها الإنسان المتقدم في السن والدرجة على مَن هم دونه، كما يفرضها المجتمع السقيم على مَن يتزعَّمه ويترأسه. ولكن من الرد المباشر الحاسم الذي قاله مقاريوس يتضح لنا بكل بيان أن مقاريوس كان على علم تام بمستوى سلوكه المتصاغر المعرَّض للمؤاخذة والتهكُّم من هؤلاء المتعظمين في أنفسهم بل ومن اعترافه بأنه ظل اثنتي عشرة سنة يصلي لكي يكون له هذا المستوى المتصاغر البسيط، يؤكِّد لنا أنه مُصِرٌ على تصــرُّفه كمنهج حياة وخلفية دائمة يتحرَّك فيها، تمناها فأخذها من الله كموهبة!!

٣ — المجاملة والمحبة الأخوية عند مقاريوس وثمنها الباهظ:

[حينما كان القديس مقاريوس يأكل مع النُسَّاك، كانوا يقدِّمون له بعض النبيذ، فكان يشرب ما يُقدَّم له، ولكنه بعد ذلك كان يضع على نفسه قانوناً بأن يصوم عن الماء أياماً بقدر عدد كؤوس النبيذ التي شربها...].

الآن نـدخل أكثر إلى أعماق القديس مقاريوس السرية. فإن كان القول الأول قدَّم لـنـا واجـهة للشخصية التي كان يعيش بها مقاريوس، والقول الثاني أمدنا بالخلفية العامة التي كان يتحرك فيها. فهنا في هذا القول نتعرف على مقدار الضريبة الفادحة التي وضعها مقاريوس على نفسه حتى يحتفظ بعلاقات المودة والمحبة الأخوية ومجاملة الرهبان ومبادلتهم لطفاً بلطف.

إن الـذي يـقـرأ هـذه الكلمات الخاصة بشرب مقاريوس للخمر بتمعُّن وتحليل دقيق يـدرك في الحال أنه في مواجهة شخصية فذة، لأنه ما كان أسهل على مقاريوس أن يرفض مـا يـقدَّم له من كؤوس، فيرتاح من عناء تعذيب نفسه بالصوم، بل ويزداد كرامة ومهابة عـنـد تلاميذه وإخوته النساك. ولكن هذا بعينه هو الذي كان يخشاه مقاريوس، فهو **أولاً** وقبـل كـل شـيء لا يـريـد أن يُـعرَفَ عنه أو يكون له سلوك أعلى (في الظاهر) من بقية أولاده، **وثـانـيـاً** — وهـذا كان عنده في غاية الأهمية — كان لا يريد أن يحرم أولاده من الإحساس بأنهم يحبونه ويلاطفونه ويقدِّمون له المحبة. كما وأنه كان لا يريد أيضاً أن يحرم نفسه من فرط السعادة التي كان يحسها هو نفسه من لطف الإخوة ومجاملتهم وحبهم له.

وهـنـا أصبح الصوم والحرمان الشديد عن الماء عدة أيام عند القديس مقاريوس بمثابة ذبيحة يقدِّمها لله ثمناً لحب الإخوة وللإبقاء على وداعة ولطف المعاملة بدون ملامة القلب أو جـرح الضمير، لأن مقاريوس كان يعتبر شرب الخمر ترفاً جسدياً لا يناسبه شخصياً!! يا لرقة هذا الإنسان!!

٤ — إحترامه الشديد للنفس البشرية مهما كانت خطيئتها:

[يُـحـكـى عـن الـقـديـس مـقـاريوس أنه كان في بعض القلالي أخ صدر منه أمر شـنـيـع، وسـمـع بـه الأب مـقـاريوس ولم يرد أن يبكِّته، فلما علم الإخوة بأمر هذا الـراهـب لم يطيقوا صبراً. فما زالوا يراقبون الأخ إلى أن دخلت المرأة عنده، فأوقفوا بعض الإخوة لمراقبته، وجاءوا إلى القديس مقاريوس وأخبروه بالأمر، فقال لهم:

يـا إخـوة، لا تـصدّقوا هذا الأمر، حاشا لأخينا المبارك من هذا. فقالوا: يا أبانا، تـعـالَ وابصر بـعـيـنيك. فقام القديس وذهب معهم إلى قلاية الأخ ببشاشة كما لو كـان قـادمـاً لـيـسلِّم عليه، وأمر الإخوة أن يبتعدوا قليلاً، فما أن علم الأخ بقدوم الأب حتى تحـيَّـر في نفسه وأخذته الرعدة، وأخذ المرأة ووضعها تحت الماجور، فلما دخل الأب جلس على الماجور وأمر الإخوة بالدخول، فلما دخلوا فتّشوا القلاية، ولم يجدوا أحـداً، واحـتـشـمـوا أن يـوقـفوا القديس من على الماجور، فأمرهم القديس بالإنـصـراف، ولمـا انـصـرفوا أمسك بيد الأخ وقال له: يا أخي أحكم على نفسك قبل أن يحكموا عليك، لأن الحكم لله. ثم ودعه وتركه...].

في هـذه الـقـصة نواجه شخصية القديس مقاريوس في روعة أخلاقية منقطعة النظير لم يـشـاركـه فيهـا إنـسان قط!! وكأنما نحن مرة أخرى في حضرة المسيح نفسه والمرأة الخاطئة واللطـف الإلهـي الـفـائـق من فم المسيح: «ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تُخطئي أيضاً.» (يو٨: ١١)

الـقديس مقاريوس هنا، يا إخوة، بلغ الذروة الإنجيلية. لقد لبس صورة المسيح، بل لـبـس الـمـسيـح وأعـاد أمـامـنـا قصة المرأة الخاطئة في توافق ومشابهة، بل ومطابقة مبدعة ومذهلة تفوق قدرات الطبيعة الإنسانية.

مـا يبهرني هنـا في قـصـة الـراهب والمرأة والماجور هو حساسية مقاريوس المرهفة تجاه مـشاعر نفس ذلك الراهب الذي أُمسك في ذات الفعل!! يستحيل يا إخوة أن يسلك أب جـسـدي ولا أب روحـي مثل هذا السلوك. إن هذا السلوك لا يأتيه إلاَّ مَن أحب النفس الـبشريـة الخاطئة حباً إلهياً على مستوى محبة المسيح نفسه!! القديس مقاريوس رأى نفساً عـاريـة، فـخـلـع ثـوب أُبـوَّتـه ورئاسته وغطَّى هذه النفس التي أراد لها الفضيحة كلُّ بني طقسها!!

مـقـاريوس رأى نفساً بشرية مجروحة جرحاً خطراً، تمكَّن منه إخوته، وأدخلوا سيف

فضيحتهم فيه للإجهاز عليه، فتوسَّط مقاريوس، وعرَّض كرامته وعدله وأبوته بل وطهارته للخطر حتى يلتئم الجرح في حمايته وستره فالتأم، وقام ذلك الراهب من كَبْوَته. وكأنما ستره الله إكراماً لرقة مقاريوس الخارقة...

لم يرَ القديس مقاريوس الخطيئة، بل رأى نفساً على صورة الله مجروحة، ولم تستطع الخطية بشناعتها أن تنال من رقة مقاريوس في معاملته الحساسة جداً تجاه النفس البشرية!! أي نفس و بأي حال!!

٥ ـ احترامه للأديان الأخرى، إكراماً للنفس البشرية بحد ذاتها:

[ذهب القديس مقاريوس مرة من الإسقيط إلى نتريا، وفي الطريق أمر تلميذه أن يسبقه قليلاً. وفي الطريق قابل التلميذ كاهناً وثنياً يجري حاملاً حزمة خشب. وكان الوقت ظهراً، فصرخ التلميذ فيه قائلاً: يا خادم الشيطان إلى أين تجري؟ فاستدار الكاهن وانهال عليه ضرباً حتى لم يبقَ فيه سوى نَفَسٍ قليل.

ولما سار الكاهن قليلاً، قابله مقاريوس قادماً، فحيَّاه قائلاً: فلتصحبك المعونة يا رجل النشاط، فاندهش الكاهن وأقبل نحوه، وقال له: أي شيء جميل رأيته فيَّ حتى حييتني هكذا؟ فرد عليه مقاريوس: أني أرى كدَّك وتعبك وإن كنتَ لا تدري لماذا. فرد عليه الكاهن: أما أنا فعندما سمعت تحيتك، عرفت في الحال أنك تنتمي إلى الإله العظيم... وأمسك بقدمي مقاريوس، وقال له: لن أدعك تذهب حتى تجعلني راهباً مثلك].

هذه القصة تصوِّر لنا عنصراً هاماً من عناصر تكوين شخصية القديس مقاريوس. فاحترامه الشديد وحساسيته المرهفة من نحو نفسية الراهب الخاطىء في القصة السالفة، ربما توحي إلينا أن رقة مقاريوس كانت مرتبطة ببني جنسه أو بني طقسه. ولكن في هذه القصة ينكشف القناع عن مصدر هذا التوقير الفائق الذي كان يعتمل في أعماق

مقاريوس من نحو كل نفس في بني الإنسان.

القصة هنا نموذج رائع كيف بلغ احترام القديس مقاريوس إلى أقصاه من نحو كاهن وثني لا يمتُّ إليه بصلة ما إلاَّ صلة العداوة المتأصلة والبغضة الرسمية التي يكنُّها الوثنيون من نحو المسيحيين في ذلك الزمان.

ولكن لم تستطع العداوة والبغضة من طرف ذلك الوثني أن تعطِّل فعل المحبة واللطف والإكرام الذي انطبعت عليه نفس مقاريوس.

مقاريوس هنا يقدم، ضمناً، احتراماً متحفِّظاً لديانة الكاهن الوثني إكراماً لنفسه واحتراماً لإنسانيته! هذا الشيء الذي يعوز كل البشرية اليوم، هذا الواجب الأول الذي كان ميراثاً للمسيحيين، كل المسيحيين، ففقدوه فقداناً مزرياً.

المسيحي على طقس تلميذ مقاريوس لا يحترم إلاَّ نفسه، إنه يكره دين غيره بلا تحفُّظ وهو لا يدري أنه إنما يكره الله الذي على صورته خُلقت هذه النفوس جميعاً.

القديس مقاريوس أحب الكاهن الوثني واحترمه وحيَّاه تحية صادقة بالحق من القلب — وهو يدري تماماً أن ذلك كله يُضاف إلى ديانته — فحرَّك فيه دون أن يدري عناصر الحق الكامنة في نفسه التي جعلته يتعلَّق بمقاريوس ويميل بجملته إلى «إله» مقاريوس.

محبة مقاريوس ولطفه وتكريمه للكاهن الوثني وبالتالي لكهنوت الوثنية لم تكن انتقاصاً من مسيحيته أو تجاهلاً لكرامة مسيحه أو رياءً يحطُّ من قدر ديانته، بل كانت عنصراً كريماً فاخراً من عناصر شخصيته التي كانت تعكس نور المسيح ولُطفه وعمق تواضعه.

إن شخصية القديس مقاريوس زاخرة
بعناصر إنسانية ينبغي أن يُقتدى بها.

الفصل الثالث عشر

كتابات القديس أنبا مقار الكبير

الكتابات المنسوبة للقديس أنبا مقار الكبير كثيرة، ولكن قام العلماء مؤخراً بفحصها وتحليلها ونقدها. وقد غالى الكثيرون منهم في نقدها حتى لم يُبقوا على الكتابات المنسوبة لقديسنا الكبير سوى رسالة واحدة، لا توجد إلاَّ باللغة اللاتينية والسريانية، بعنوان: «الرسالة إلى الأبناء الروحيين» Ad Filios Dei، مستندين في صحتها على شهادة المؤرخ القديم جناديوس، حيث يقول عنها:

[مقاريوس الراهب المصري تميَّز بشيئين: بمعجزاته و بفضائله. وقد ترك رسالة واحدة وجَّهها إلى المبتدئين من بني طقسه، وفيها يعلِّمهم أن كل مَن يصل إلى معرفة نفسه، يستطيع أن يعبد الله، إن هو أسلم ذاته لجميع الجهادات، ضابطاً نفسه في كل شيء، على أن لا يكف في نفس الوقت عن الدعاء والتوسُّل، طالباً معونة الله، فإنه يصل إلى طهارة الطبيعة، و يبلغ حالة العفة، كهبة، تُمنح لطبيعته.](١)

ونظراً لأهمية هذا الخطاب من الوجهة الرهبانية التعليمية، قمنا بالبحث عنه حتى أعاننا الله وعثرنا على ترجمة فرنسية حديثة له من اللغة اللاتينية، وهي أول ترجمة بلغة حية تظهر في العالم، وقد قدمنا الخطاب مع مقدمته في هذا الفصل.

وعدا هذه الرسالة الأصيلة توجد ثماني رسائل أخرى منسوبة للقديس أنبا مقار، وقد تضافرت آراء العلماء جميعاً على عدم صحة نسبتها للقديس أنبا مقار.

---

(1) De Viris illustribus, C. 10, PL 58, 163. Quasten, III, p. 166.

ولكننا بالبحث في مخطوطات الدير وجدنا للقديس رسالة هامة باللغة العربية شديدة الصلة بروح القديس أنبا مقار وأسلوبه الإنجيلي في التدبير الرهباني ، ونعتقد أنها أصيلة ولو أننا لم نعثر على أصولها بعد باللغة القبطية أو اليونانية ، ونقدم هنا للقارىء الرسالة المترجمة عن النسخة الفرنسية :

La lettre de S. Macaire à ses fils

Collectanea O.C.R. t. 24, 1962, pp. 52-59.

رسالة القديس مقاريوس إلى أولاده

مقدمة

من كل الكتابات المنسوبة إلى مقاريوس المصري ــ الكبير ــ يوجد عمل واحد يرجح أنه أصيل ، وهو رسالته لأولاده الروحيين ، وهي عبارة عن مقالة مختصرة عن الحياة النسكية ؛ لم يجد لها العلماء أي أصل باللغة اليونانية ، لكنها وصلت إلينا في ترجمة لاتينية وأخرى سريانية . وقد نشر Dom A. Wilmart النص اللاتيني نشرة علمية(1)، وقد جمع Baumstark أهم المخطوطات السريانية التي تحويه(2)، كما درس Marriott الإختلافات بينها(3).

ولم يقل العلماء حتى الآن (سنة ١٩٦٢) قولاً قاطعاً بالنسبة إلى أصالة هذا الخطاب ، غير أنهم قد وجدوا أجزاءً منه في مواضع متفرقة من مجموعة كتابات خاصة

(1) A. Wilmart, La lettre spirituelle de l'Abbé Macaire, Revue d'Ascétique et de Mystique, 1 (1920) 58, 83.

والنص منشور أيضاً في P.G. 34, 406 بدون تحقيق علمي .

(٢) و(٣) المرجع في الأصل الفرنسي .

بمقاريوس باللغة القبطية كان قد نشرها E. Amélineau في نهاية القرن السابق(٤). و بذلك يكون هذا الخطاب في الأصل مجموعة أقوال لمقاريوس، دوَّنها تلاميذه أولاً، كما وردت في المجموعة القبطية، أو العكس!

أما ورودها في هذه المجموعة القبطية القديمة والأصيلة فهو دليل كافٍ على أصالتها.

وهذه الرسالة هي الكتاب الوحيد لمقاريوس الذي ذكره له العلاَّمة Gennedius de Marseille في كتابه De Viris illustribus. والأرجح أنه دُوِّن أصلاً باللغة القبطية، ثم تُرجم إلى اليونانية، ومنها تُرجم إلى اللاتينية والسريانية.

ومهما كان من أمر، فإن هذا الخطاب قريب جداً من حيث الألفاظ والمعاني الروحية **لرسائل أموناس** تلميذ أنبا أنطونيوس (المعروفة برسائل القديس أنطونيوس). كذلك فإن أسلوب الخطاب نجده قريباً أيضاً لبعض ما ورد في **حياة أنبا أنطونيوس** بقلم أثناسيوس. وهذا التشابه يكفي **لنقطع بكل تأكيد أن هذا الخطاب يرجع إلى الجيل الأول للرهبنة في مصر.** لذلك فله أهمية قصوى.

وحتى وإن كانت هذه الرسالة قد تكونت في الأصل من أقوال متفرقة لمقاريوس دوَّنها تلاميذه، فهي بوضعها الحالي مرتَّبة ومنسَّقة. **فنحن نجد فيها وصفاً كاملاً للجهاد الروحي وشروطه ونهايته.** أي أنها بحث روحي مختصر، وتعتبر من أهم وأول الأبحاث الرهبانية من هذا النوع.

---

(4) E. Amélineau, Histoire des monastéres de la Basse-Egypte

(تاريخ أديرة الوجه البحري)

منشور في مجموعة: Annales du Musée Guimet, T. XXV, Paris, 1894.

وقد نُشر فيه الكتاب الذي عنوانه: «**فضائل القديس مقاريوس**» طبقاً للمخطوط Vatican copte 64، وهو يتضمن نصاً قبطياً ــ غالباً هو الأصل ــ للخطاب الذي ننشره من فقرة ٨ إلى الآخر. (من فقرة ٨ــ١٢ حرفياً ثم من فقرة ١٣ إلى الآخر مع بعض الإختلافات، كما أن الفقرتين ١ و ٢ موجودتان في مكان آخر من نفس المرجع).

والترجمة (الفرنسية) الحالية تعتمد على النسخة اللاتينية للرسالة التي نشرها Wilmart، مع الرجوع أحياناً إلى النسخ اللاتينية الأخرى، والنسخ السريانية. كذلك رجعنا أيضاً إلى الأجزاء من الأصل القبطي للرسالة (الموجودة في كتاب Amélineau).

نص الرسالة

رسالة القديس مقاريوس الراهب إلى أولاده.

١ ــ حينما يبدأ الإنسان يعرف ذاته، ولماذا خُلق، و يبحث عن الله خالقه، فإنه يتوب أولاً عن كل ما اقترفه في زمن توانيه. وهكذا يعطيه الله الرؤوف حزناً على خطاياه.

٢ ــ ثم يعطيه، بنفس الرأفة، أن يُتعب جسده بالأصوام والأسهار، وأن يثابر على الصلاة ويحتقر العالم، كما يمنحه أن يحتمل الإهانات، برضى، و يبغض كل نياح الجسد، و يفضل البكاء على الضحك.

٣ ــ ثم يعطيه اشتياقاً للدموع والبكاء، ومسكنة في قلبه، وتواضعاً، كما يعطيه أن يرى الخشبة في عينه دون أن يحاول إخراج القذى من عين قريبه، وأن يردد باستمرار: «إني عارف بإثمي وخطيتي أمامي في كل حين» (مز٥١: ٣)، وأن يتفكّر في يوم موته وفي مثوله أمام الله، وأن يتصور الدينونة والعذاب، وأيضاً الأجر والكرامة التي تعطى للقديسين.

٤ ــ وحينما يرى الله أن هذه الأشياء تحلو له، يعرِّضه للتجربة، ليراه هل يرفض الشهوات، وهل يثبت أمام هجمات ولاة هذا العالم الذين غلبوه من قبل، وأمام ملذات الأطعمة المتنوعة التي تُضعف القلب. فتصل به الحال (تحت التجربة) إلى أنه يعجز تقريباً عن الصوم، و يكاد يستسلم، منهزماً بضعف الجسد وطول الزمان، لأن أفكاره المعادية تقول له: «كم من الزمان تستطيع أن تحتمل هذه الأتعاب؟»، وأيضاً: «إنه

لتعب مرير أن تستحق حلول الله فيك ، لا سيما وأنك قد أخطأت بهذا المقدار» ، ثم أيضاً : «هل يستطيع الله أن يغفر لك كل هذه الخطايا؟» .

٥ ــ ولكن حينما يتيقَّن الله أن قلبه يبقى ثابتاً في مخافته ، وأنه لا يترك المكان الذي جاء ليسكن فيه ، بل يقاوم بشدة ، فإنه يسمح بأن تأتيه أفكار أخرى توحي له قائلة ــ وهي متخذة فرصة ببره : «صحيح أنك أخطأت ، غير أنك قد قدَّمت توبة ، فقد صرت منذ الآن قديساً» ، وتذكِّره بخطايا بعض الناس الذين لم يتوبوا ، وبذلك تزرع المجد الباطل في قلبه .

٦ ــ ثم أن الأبالسة لا تكتفي بذلك ، بل تجعل أيضاً بعض الناس يمتدحونه بإفراط ، ويدفعونه إلى أعمال لا يقدر أن يقوم بها ؛ وتوحي له بأفكار ، كأن يمتنع عن الأكل أو الشرب أو يغالي في السهر ، وبأفكار أخرى كثيرة يطول ذكرها ؛ بل وتعطيه سهولة للقيام بها ، محاولة بكافة الوسائل أن تجتذبه إليها (أي إلى هذه الأعمال) مع أن الكتاب يحذِّر قائلاً : «لا تَمِلْ يَمْنَةً ولا يَسْرَةً بل اسلك في الطريق المستقيم .» (راجع أم٤ : ٢٦و٢٧)

٧ ــ ولكن إن لاحظ الله أن قلبه لم يملْ إلى أيٍّ من هذه التجارب ، التي سبق داود فتكلَّم عنها قائلاً : «جرَّبتَ قلبي وافتقدته ليلاً . محَّصتني بالنار لكن لم يوجد فيَّ إثم» (مز١٧ : ٣)، حينئذ ينظر إليه الله من سمائه المقدسة ويحفظه بلا عيب . ولاحظوا جيداً أن داود لم يقل «نهاراً» بل «ليلاً» ، لأن خداعات العدو هي ليل ، كما يقرِّر أيضاً بولس الطوباوي : إننا لسنا أولاد ظلمة بل أولاد نور . فإن ابن الله هو بالحقيقة «نهار» بينما يشبَّه إبليس بـ «الليل» .

٨ ــ ومتى تجاوزت النفس كل هذه المحاربات ، فإن الأفكار توحي لها بشهوة الزنا (والنجاسة) . وفي كل ذلك تشعر النفس بضعفها ، ويذبل القلب ، لدرجة أنه يتوهم أن حفظ الطهارة أمر يستحيل عليه ؛ فإن الأفكار ، كما قلت ، تبيِّن له طول الزمان ، من

جهة، وصعوبة الفضائل، من جهة أخرى، وكم أن حملها ثقيل لا يُحتمل، وتضيف إلى ذلك أيضاً ضعف جسده وهوان طبيعته.

٩ ــ وإن لم يكل أمام هذه المحاربات، فإن الله الرؤوف والرحوم يرسل له قوة مقدسة، و يثبِّت قلبه، و يعطيه الفرح والنياح والقدرة على أن يقوى على أعدائه، بحيث أن هجومهم عليه لا يخزيه، لأنهم يخافون القوة الساكنة فيه، هذه التي قال عنها القديس بولس: «جاهدوا فتنالوا قوة» (كو١: ٢٩)، والتي تعرَّض لها أيضاً الطوباوي بطرس في حديثه عن «الميراث الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السموات لأجلكم، **أنتم الذين بقوة الله محروسون بالإيمان.**» (١بط١: ٤ و٥)

١٠ ــ ومتى رأى الله الرؤوف المتحنن أن قلبه قد صار أقوى من أعدائه، فإنه يسحب عنه بالتدريج القوة التي كانت تسنده، و يسمح لأعدائه أن يهاجموه بنجاسات الجسد المختلفة و بشهوة المجد الباطل والعظمة، و بتجارب الخطايا الأخرى التي تجذب إلى الهلاك، حتى إنه يكاد يشابه سفينة بلا دفة، تتخبط من كل ناحية على الصخور.

١١ ــ ولكن متى صار قلبه وكأنه قد ذبل، وكاد أن يكون قد عثر في كل من تجارب العدو، فإن الله محب البشر والمعتني بخليقته يرسل فيه قوة مقدسة، و يثبِّته، و يُخضع قلبه ونفسه وجسده وكل أعضائه إلى نير الباراقليط، لأنه هو قد قال «**احملوا نيري عليكم**، وتعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب.» (مت١١: ٩)

١٢ ــ وهكذا يبدأ الله الرؤوف، أخيراً، يفتح أعين قلب (الإنسان)، لكي يفهم أن (الله) هو الذي يثبِّته، وحينئذ يبدأ الإنسان يتعلم بالحقيقة كيف يعطي مجداً لله بكل تواضع وانسحاق قلب، كما يقول داود: «**الذبيحة لله روح منسحق**» (مز٥١: ١٧)، لأنه من صعوبة ذلك الجهاد، يتولد التواضع وانسحاق القلب والوداعة.

١٣ ــ ومتى تجرَّب بكل هذه الأنواع، فإن الروح القدس يبدأ يعلن له الأشياء

السمائية، أي كل ما يعود بالإستحقاق والعدل على القديسين، وعلى الذين وضعوا رجاءهم في رحمته. وحينئذ يتفكر الإنسان في ذاته و يردد قول الرسول: «**إن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا**» (رو٨: ١٨)، وأيضاً قول داود: «**ماذا لي في السماء؟ ومعك كم من الأشياء أردتُ في الأرض؟**» (مز٧٣: ٢٥) ومعناه: يا رب كم أعددت لي في السماء؟ وأنا كم من الأشياء طلبت معك في الحياة الفانية؟ وهكذا أيضاً تعلَن له العذابات التي تنال الخطاة، وأشياء أخرى كثيرة يفهمها كل رجل قديس بدون أن أذكرها.

١٤ ــ و بعد هذا كله يقطع الباراقليط عهداً مع نقاوة قلبه وثبات نفسه وقداسة جسده وتواضع روحه، فيجعله يتجاوز كل الخليقة، و يعمل فيه، بحيث أن فمه لا يتكلم بأعمال الناس، وأنه يرى المستقيم بعينيه، و يضع حارساً لفمه، و يرسم طريقاً مستقيماً لخطواته، و يقتني برَّ يديه أي (بر) أعماله، والمثابرة في الصلاة مع تعب الجسد والسهر المتكرر. ولكن هذه الأشياء يرتِّبها الباراقليط فيه بقياس وإفراز، وليس بتشو يش، بل بهدوء.

١٥ ــ ولكن إن تجاسرت روحه فقاومت ترتيب الروح القدس نفسه، فإن القوة التي وُضعت فيه تنسحب، و بذلك تتولَّد في قلبه محار بات واضطرابات، ثم تضايقه آلام الجسد في كل لحظة بمهاجمة العدو.

١٦ ــ ولكن إن تاب قلبه وتمسك بوصايا الروح القدس (من جديد)، فإن معونة الله تكون عليه. وحينئذ يفهم الإنسان أنه خير له أن يلتصق بالله في كل حين، وأن حياته هي في (الله) كما يقول داود: «**صرخت إليك فشفيتني**» (مز٣٠: ٢)، وأيضاً: «**لأن عندك ينبوع الحياة.**» (مز٣٦: ٩)

١٧ ــ فمن رأيي، إذن، أن الإنسان إن كان لا يقتني تواضعاً كثيراً، وهو قمة جميع الفضائل، وإن كان لا يضع حارساً لفمه ولا يجعل خوف الله في قلبه؛ وإن كان لا يمتنع

عن تزكية ذاته بسبب الأشياء التي يتوهم فيها أنه أصلح من غيره، وكأنه قد فعل خيراً ما؛ وإن كان لا يحتمل، برضى، الإهانات التي تقع عليه، ولا يقدّم الخد الآخر للذي يلطمه، وإن كان لا يندفع، بعزم، نحو كل عمل صالح ليقتنيه؛ وإن كان لا يحمل نفسه في يده كأنه يموت كل يوم؛ وإن كان لا يعتبر كل الأشياء التي تُرى تحت الشمس كأنها باطلة، ولا يردد في نفسه: «**لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح**» (في ١:٢٣)، وأيضاً: «**لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح**» (في ١:٢١)؛ فإنه لا يستطيع أن يحفظ وصايا الروح القدس. آمين.

(ملاحظة: الإقتباسات الكتابية مختلفة أحياناً عن نصها في طبعة بيروت وهي مترجمة حرفياً عن نص القديس مقاريوس).



صليب من الرخام بالحفر تحيط به نقوش بديعة. ويلاحظ وجود طائرين (ربما حمامتان) على جانبي الصليب من أسفل. ويُظن أنه كان ضمن نقوش إما لقان أومذبح. وهو محفوظ الآن بالمتحف.

الفصل الرابع عشر

الذكصولوجيات

أي التماجيد الخاصة بالقديس أنبا مقار

مقدمـــة

بالإضافة إلى الذكصولوجيتين الواردتين في كتاب الأبصلمودية المقدسة السنوية (كتاب التسبحة) اللتين يتضح من كلمات الأولى منهما أنها مؤلفة خصيصاً لمناسبة عودة جسد القديس أنبا مقار إلى شيهيت، وربما يكون قد جاء تأليفها في نفس زمن عودة جسده، أي في حوالي سنة ٧٨٤م، وذلك يظهر من الكلمات القائلة (كل طائفة الرهبان تسبح وتبارك الله **لأجل مجيئك إلينا** يا أبانا القديس أنبا مقار)، ولذلك فليس من الصواب ما كُتب في بداية هذه الذكصولوجية أنها تُقرأ في ٢٧ برمهات — وهو يوم نياحته — و٨ طوبة؛ بل الأصح أن يُقال: «تُقرأ في ١٩ مسرى وهو يوم وصول جسده إلى شيهيت» (*). أما الثانية فيتضح من كلماتها أنها مؤلفة في العصور الحديثة نوعاً ما، وذلك يظهر من قول مؤلفها: (فلهذا يفدون إليك من أقاصي الأرض، من رومانيا وسوريا

(*) الأعياد التذكارية للقديس أنبا مقار.

(١) تذكار نياحته ٢٧ برمهات (٥ أبريل).

(٢) تذكار رجوعه من المنفى ١٣ برمهات (٢٢ مارس).

(٣) تذكار تدشين الكنيسة التي بناها في المنفى بعد تعميد أهل الجزيرة ١٠ طوبة (١٨ يناير).

(٤) تذكار وصول جسده إلى شيهيت ١٩ مسرى (٢٥ أغسطس).

(٥) تذكار تدشين هيكل أنبا بنيامين بكنيسة أنبا مقار ٨ طوبة (١٦ يناير).

والمشرق وأسبانيا. وليس فقط في **الزمان الغابر** بل هوذا **الآن** أيضاً يفدون من كل مكان يسجدون على جسدك المقدس).

نقول أنه عدا هاتين الذكصولوجيتين فقد عثر العلاّمة إفلين هوايت ضمن أوراق مفردة مخطوطة ومدشوتة بالدير وثيئوتوكيات قديمة جداً ومهملة في أرضية غرفة المكتبة بالحصن — على عدة ذكصولوجيات هامة باللغة القبطية ذات إلماحات مبدعة من سيرته وحياته ونسكه ووصف لشخصيته وللقوة الإلهية التي رافقته، وقد قمنا بترجمتها هنا وأضفناها باللغة القبطية في مواضعها بالأبصلمودية الخاصة بالدير للتسبيح بها في مواسمها الخاصة، ونعتقد أنها من أقدم الذكصولوجيات المعروفة لفرادة أسلوبها التاريخي والوعظي.

الذكصولوجية الأولى(1)

وتاريخ نساختها من القرن الرابع عشر بدير القديس أنبا مقار، آخرها فاقد، الباقي ١٥ بيتاً شعرياً، وتدل على مهارة أدبية ومنظومة على أساس سيرته.

كان رب المجد مع البار اللابس الروح أنبا مقار، لأنه قد عيَّن له قوة مقدسة هي الشاروبيم لتكون معه منذ الإبتداء.

إذ بينما كان في مغارته جالساً يتأمل في الأسفار المقدسة يوماً من الأيام، ظهر له الشاروبيم متكلماً معه بهذا الخصوص قائلاً:

يا مقارة أنظر إلى نفسك ولا يستعلي قلبك بسبب تمجيد الناس، لأنك لو أكملت كل الفضائل فعليك أن تقول أنا خاطىء.

اهتم بكرمك لأنه بلغ أوان الإثمار فلا تدع الثعالب المفسدة تتلفه.

---

(1) Ev. White, I, p. 120, 121.

واهتم بشجرة حياتك لئلا تبدد طرحها طيور السماء.
واهتم بكنزك الذي جمع كل الصالحات حتى لا ينقبه السارقون.
واهتم بمركبتك التي وسقت من كل الخيرات الملكية لئلا يفسد العدو خطتك.
فلما سمع أنبا مقار ذلك الكلام بكى قائلاً:
ويحي يا لكبرياء قلبي أنا الخاطئ، كيف تريد الأرواح الشريرة أن تهلك نفسي.
ويحي يا لكبرياء قلبي أنا الخاطئ، كيف حتى الآن لم أقبل الآلام عن أخي.
فلما سمع منه الشاروبيم ذلك مدحه واستحسنه.

الذكصولوجية الثانية

وعنوانها: «أنبا مقار وأولاده»، وكان بآخرها بيتان مفقودان استطاع إڤلين هوايت أن يكملها من كتاب «ثيئوتوكية» آخر موجود بمكتبة الڤاتيكان([2]). وقد ألفها كاتبها على أساس ما جاء في السيرة أيضاً بأنه كان معه الشاروبيم كقوة معزية ومعينة، وأن أنبا مقار عاش حتى رأى الأديرة الأربعة تنمو وتزدهر بأولاده وأولاد أولاده.

ذكصولوجية لحن واطس:

الشاروبيم الذي رافقك، يا سيدي أنبا مقار، حتى أحضرك إلى هذه البراري كان له أربعة وجوه. وجه أسد ووجه ثور، ووجه إنسان ووجه كالنسر، كان هذا منظره بحسب الأسفار.

وأنا أشبّه وجه الأسد بأبينا أنبا مقار، لأنه صار أسداً قوياً ضد الأرواح النجسة.

وأشبّه وجه الثور بأبينا أنبا يوحنا، لأنه زرع عوداً يابساً في أرض قفرة وسقاه حتى أثمر.

وأشبّه وجه الإنسان بأبينا أنبا بيشوي، لأنه تكلم مع المسيح مثل موسى مُعطي الناموس.

---

(2) Theotokia (Cod. Vatic. Copt., XXXVIII).

وأشبَّه وجه النسر بأبوينا الروميين، لأنهما أخذا أجنحة نارية وعبرا هذه الصحاري.

وهوذا أيضاً موسى الأسود أتى إلى هذه الصحاري، ولبس إكليل الشهادة الذي لا يبلى.

والتسعة والأربعون شهيداً، شيوخ البرية، سفكوا دماءهم على صخرة البيامون.

والقديسة إيلاريا وأنستاسيا وأربسيا صرن عرائس للمسيح.

هكذا المواضع المقدسة التي أسستها يا أبانا أنبا مقار لن تكف عن أن تعطي أثمارها حتى نهاية الدهور.

أطلب من الرب عنا يا أبانا أنبا مقار مع أولادك لبَّاس الصليب.

الذكصولوجيتان الثالثة والرابعة

وهما أصلاً كانا ضمن كتاب الدفنار. الأولى واطس والثانية آدام وهما مخصصتان للتسبيح في عيد تذكار أنبا مقار في ٢٧ برمهات، والذكصولوجية الأولى مكتوبة أيضاً في كتاب التسبحة.

وفي قانون قراءة هاتين الذكصولوجيتين (في المقدمة بالخط الأحمر) أنهما تقرآن أيضاً في ١٩ مسرى عيد نقل جسد أنبا مقار.

الذكصولوجية الثالثة:

(السابع والعشرين من برمهات واطس. أبا مقار).

فلتتهلل وتفرح براري شيهيت ولتطلق بخورها العطرة كزنابق الحقل... وليترنم ويسبِّح معاً كل الرهبان من أجل مجيئك إلينا أيها العظيم أنبا مقار.

لأنه هوذا بواسطتك صارت البراري كالمدن، والموضع الذي بلا إنسان امتلأ بقديسي الله.

لقد منطقتهم كالجنود فصاروا أبطالاً وجبابرة بأس ضد التنين المرتد وجماعته الشريرة.

لهذا نتوسل اليك نحن أولاد صلواتك، إسأل الرب عنا ليغفر لنا خطايانا.
في برمهات، رقدت وارتحت، في اليوم السابع والعشرين من هذا الشهر.
وقد جاءك الشاروبيم مع صفوف الملائكة ومجمع الأبرار.
وتحدث معك كما يتحدث الإنسان مع صاحبه. أسرع وتعال لأن كل هؤلاء ينتظرونك.
فأجبت بالفرح الذي ملأ قلبك: «يا ربي يسوع في يديك أستودع روحي».

الذكصولوجية الرابعة:

(السابع والعشرين من برمهات آدام أبا مقار).
طوباك يا أنبا مقار، يا حامل الروح وأب كل الرهبان.
لقد جاهدت الجهاد الحسن في ميدان الركض حتى نلت الدعوة لوليمة العشاء.
لقد صرت لنا مثالاً لاكتساب الآداب الرهبانية والصلاة والصبر.
لقد صرت أولاً تلميذاً وخادماً للحكمة صانعاً إرادة سيدك حسناً.
فسمعت الصوت نعماً أيها العبد الصالح الأمين.
لأنك كنت أميناً في القليل أدخل الآن إلى فرح سيدك.
بصلوات القديس أنبا مقار يا رب أنعم لنا بمغفرة خطايانا.

الذكصولوجية الخامسة
(أبا مقار وقديسي شيهيت)

السلام لأنبا مقار الشبكة التي اصطادت كل مَن صادفها إلى طريق الله. الذي ألبس أولاده الإسكيم المقدس، وعلمهم كيف يسكنون متوحدين في مغائر الأرض.
مكرم جداً فوق حدود النطق أنبا يوحنا القمص، لأن من أجل طهارته صارت الوحوش أمامه كالحملان، ومن أجل طاعته أزهر العود الناشف وأثمر.
لقد انحلّت أفكاري مني وتاه عقلي عن أن يجد قولاً مستحقاً لكرامتك أيها الرجل

(الكامل) يا أبانا أنبا بيشوي ، يا مَن ركضت حسناً في ميدانِ الجهاد.

السلام لمكسيموس ودوماديوس أبوينا الروميين اللذين أتيا من الكورة (البعيدة). إذ لما رفعا صليبها سارا وراء المسيح حتى أتيا إلى جبل أنبا مقار المقدس.

لقد صارا مثل يوحنا البتول الطاهر وأخيه يعقوب بن زبدي ، لما تركا أباهما وشبكتهما في المركب وتبعا المسيح بقلب مستقيم.

فعوّض الشبكة والبحر جعلهما صيادي الناس.

ومكسيموس ودوماديوس تركا غناهما وقصر الملك ، ازدريا بأملاكهما وترجيا ملك الحياة الأبدية ، فورثا الدير (لاڤرا Lavra) الرابع الذي اختاره الرب في البرية (دير براموس).

السلام لأبينا أبا يؤنس كاما ... (ناقص)... الذي أسس ميناء خلاص لنفوس كثيرة ورعاها حتى أكمل خلاصها.

السلام للتسعة والأربعين الشيوخ المباركين الذين سفكوا دماءهم على رأس الصخرة.

السلام لإيلاريا وأناستاسيا وأربسيا عرائس المسيح.

السلام لأبينا أنبا موسى الجندي القوي أول الشهداء في هذا الجبل المقدس.

طوباك أنت يا أنبا مقار لأن إله السماء قد أعطاك المجد الأعظم ، وأعلمك أنك ترى أولادك وأولاد أولادك ، ويكونوا إكليلك في ملكوت السموات.

ذكصولوجية للقديس أنبا مقار

كان رب المجد مع أبينا البار   اللابس الروح أنبا مقار
صلى فأعطاه الشاروبيم   كقوة مرافقة على الدوام
إذ بعد ما أكمل تدبير المغارة   ساهراً كل يوم يتأمل الأسفار
صائماً متوسلاً بحرارة   ناداه الشاروبيم يا مقاره
أنظر إلى نفسك ولا يستعلي قلبك   واسمع لصوتي فأنا سندك
حتى إذا أكملت الفضائل   تقول أنا خاطىء وتراب زائل
نَقِّ كل يوم عناقيد كرمك   لأن زمان الأثمار وافى جبلك
ولا تدع الثعالب الصغيرة   تُفسد حصيلة السنين الكثيرة
واهتم يا مقاره بشجرة حياتك   بتواضعك ودموعك وصلواتك
والمسيح لما يزيد طَرْحها   احرسها من الطيور الجارحة
واسهر يا مقاره على كنزك   الروح الناري الساكن في قلبك
حتى لا ينقب السارقون   ويشمت بك الشامتون
واعبر بمركبتك بحر الضيقات   التي وسقت من كل الخيرات
بخُطة إلهية حتى الميناء   كرامة ومجداً لفادينا.
فلما سمع هذا التحذير   بكى قائلاً بصوت كسير:
ويحي يا لكبرياء قلبي   أنا صغير عن هذا يا ربي
ويحي ويا لحزني أنا الفقير   كيف أُستأمن على هذا الكثير
من اليوم سأحمل أثقال أخي   وأقبل الآلام عوض فرحه
أُطلب من الرب عنا   يا أبانا أنبا مقاريوس
مع أولادك لُبّاس الصليب   ليغفر لنا خطايانا.

ذكصولوجية للقديس أنبا مقار وأولاده الروحيين

الشاروبيم الذي رافقك   يا سيدي أنبا مقار
حتى أحضرك لهذه البراري   كان له أربعة أوجه
وجه أسد ووجه ثور   ووجه إنسان ووجه كالنسر
كان هذا منظره   بحسب الأسفار المقدسة
وأنا أُشبِّه وجه الأسد   بأبينا أنبا مقار
لأنه صار أسداً قوياً   ضد الأرواح النجسة
وأُشبِّه وجه الثور   بأبينا أنبا يوحنا
لأنه زرع عوداً يابساً   في أرضٍ قفرة حتى أثمر
وأُشبِّه وجه الإنسان   بأبينا أنبا بيشوي
لأنه تكلم مع المسيح   مثل موسى معطي الناموس
وأُشبِّه وجه النسر   بأبوينا الروميين
لأنهما أخذا أجنحة نارية   وعبرا هذه الصحاري
وهوذا أيضاً موسى الأسود   أتى إلى هذه البراري
ولبس إكليل الشهادة   الذي لا يبلى
والتسعة والأربعون شهيداً   شيوخ البرية
سفكوا دماءهم على   صخرة البيامون
والقديسة إيلارية   وأناستاسيا وأربسيما
صرن عرائس للمسيح   بطهارة حقيقية
وهكذا المواضع المقدسة   التي أسستها يا أنبا مقار
لن تكفَّ عن أن تُعطي   أثمارها حتى نهاية الدهور
أُطلب من الرب عنا   يا أبانا أنبا مقاريوس
مع أولادك لُبَّاس الصليب   ليغفر لنا خطايانا.

قائمة الكتب

للأب متى المسكين

(يونيو ١٩٩٦)

	الثمن
القديس بولس الرسول	٤٠,٠٠
شرح رسالة رومية	٤٠,٠٠
المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا	٢٠,٠٠
شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ١	٤٠,٠٠
شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ٢	٤٠,٠٠
شرح الرسالة إلى العبرانيين	٣٥,٠٠
شرح الرسالة إلى أهل أفسس	٢٠,٠٠
شرح الرسالة إلى أهل غلاطية	٢٥,٠٠
شرح سفر أعمال الرسل	٤٥,٠٠
القديس أثناسيوس الرسولي	(نفد وسيعاد طبعه)
الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار	٤٠,٠٠
حياة الصلاة الأرثوذكسية	٣٥,٠٠
سلسلة دراسات في التقليد الكنسي:	
التقليد المقدس	٢,٥٠
القديسة العذراء مريم (ثيئوتوكس)	٢,٠٠
الصليب المقدس	٠,٥٠
التسبحة اليومية ومزامير السواعي	٣,٥٠
الإفخارستيا والقداس (جزء ١: الإفخارستيا)	(نفد وسيعاد طبعه)
سلسلة "الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية":	
أعياد الظهور الإلهي	٧,٠٠

الصوم الأربعيني المقدس	٢,٠٠
مع المسيح في آلامه حتى الصليب	٣,٥٠
القيامة والصعود	٦,٠٠
الروح القدس الرب المحيي (في جزئين داخل كيس واحد)	١٠,٠٠
التجسد الإلهي في تعليم القديس كيرلس الكبير مع عظة عن الميلاد للأب متى المسكين	٠,٧٥
ميلاد يسوع المسيح ابن الله	٠,٥٠

مقالات تصلح للخدام والشباب:

الخـدمة (٣ أجزاء معاً)	٢,٠٠
المسيحي في المجتمع	١,٧٥
المسيحي في الأسرة	٠,٣٥
كيف تقرأ الكتاب المقدس	٠,٥٠
في التدبير الروحى	١,٢٥
توجيهات فى الصلاة	٠,٥٠

عيد القيامة المجيد:

القيامة والخليقة الجديدة	٠,٤٠
القيامة والرجاء الحى	٠,٥٠

عيدا الصعود والعنصرة:

رسائل ومقالات في عيدي الصعود والعنصرة	١,٠٠
يوم الخمسين في التقليد الآبائي	٠,٥٠
الروح القدس وعمله داخل النفس	١,٠٠
مع الروح القدس في جهادنا اليومي	٠,٧٥

صوم الرسل:

صوم الرسل ومكانته الروحية في الكنيسة، والروح القدس وصوم الرسل	٠,٣٥

صوم العذراء وعيد صعود جسدها:

صوم العذراء القديسة مريم وعيد صعود جسدها إلى السماء	٠,٥٠

عيد النيروز:

الشهادة والشهداء	١,٧٥

(انظر: قصص مسيحية للحياة).

مجموعة مقالات في اللاهوت
(ألقاب المسيح)

ماهية المسيح

لاهوت المسيح الذي حدد مصير الإنسان	٠,٢٥
المسيح ابن الله	٠,٢٥
ابن الإنسان	٠,٣٥
المسيح والمسيًّا	٠,٣٥
المسيح رب	٠,٣٥
المحبـوب	٠,٢٥
الفدية والكفارة	٠,٤٠
الخلاص والإيمان	٠,٣٥
عمانوئيل	٠,٢٥
رئيس الحياة	٠,٢٥
أنا هو نور العالم	٠,٢٥
العريس	٠,٢٥
أنا هو الطريق والحق والحياة	٠,٢٥
أنا هو خبز الحياة	٠,٢٥

أنا هو الكرمة الحقيقية وأبي الكرَّام	٠,٢٥
حمل الله	٠,٣٥
أنا هو القيامة والحياة	٠,٢٥
مشتهى كل الأمم	٠,٢٥
أنا هو الراعي الصالح	٠,٢٥

في الموضوعات الروحية العامة:

التوبة	٠,٣٠
التوبة والنسك في الإنجيل	١,٠٠
العمل الروحى	٠,٢٥
الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل	٢,٠٠
رسائل القديس أنطونيوس	١,٠٠
الإيمان بالمسيح	٢,٥٠
حبة الحنطة	٠,٥٠
أين شوكتك يا موت	٠,٤٠
التبرير	٠,٥٠
الوحدة المسيحية	١,٠٠
مقالات بين السياسة والدين	١,٠٠
ملكوت الله	١,٧٥
المرأة حقوقها وواجباتها	٢,٥٠
الكشف الأثرى في دير القديس أنبا مقار عن رفات القديس يوحنا المعمدان وأليشع النبي	٠,٥٠
لمحة سريعة عن دير القديس أنبا مقار والرهبنة في مصر	١,٥٠
سيرة القديس أنبا مقار	٣,٠٠
رسائل روحية	٣,٠٠
غاية الحياة المسيحية	٠,٢٠
القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي	١,٠٠

رأي فى تحديد النسل	٠,٢٥
الكنيسة الخالدة	٢,٥٠
كلمة الله : خدمة وشهادة وحياة	٢,٠٠
الوحدة الحقيقية ستكون إلهاماً للعالم	٠,٥٠
لقد وجدنا يسوع – دعوة تعارف	٠,٣٥
قصة الإنسان (حول الخطية والخلاص)	١,٧٥
تغيَّروا عن شكلكم	٠,٥٠
حاجتنا إلى المسيح	٠,٢٥
الكتاب المقدس رسالة شخصية لك	٠,٢٥
النعمة في العقيدة والحياة النسكية	٠,٧٥
الحدود المتسعة للإيمان بالله	١,٠٠
فى تعليم المبتدئين	٢,٠٠
ميلاد المسيح وميلاد الإنسان	٠,٣٥
إماتة الذات بهدف الحب الإلهي + اختبار الله في حياة الراهب	٠,٥٠

قصص مسيحية للحياة (في مجلد واحد) ٣,٠٠

(وهي تشمل ١٥ قصة طُبعت منفصلة في ٩ كتيبات صغيرة وعناوينها كالآتي):

سفراء من العالم الآخر	٠,٢٥
في زقاق المسيحيين	٠,٢٥
قصة استشهاد الرسولين بطرس وبولس	٠,٢٥
النيروز وذكرى أيام الشهداء	٠,٢٥
أيقونة جميلة	٠,٢٥
قصة استشهاد مؤثرة للغاية	٠,٢٥
قصة طهارة واستشهاد بارع، القديس فوكا البستاني، فلسفة الموت عند شهداء مصر	٠,٢٥
أولوجيوس والمقعد الرذيل، المحارب العجوز	٠,٢٥

تاييس امرأة الأساطير، القديسة ميلانية العجيبة، صلاة فلاح،
اتباع المسيح وبهرجة الفلسفات ٠,٢٥

تطلب من :

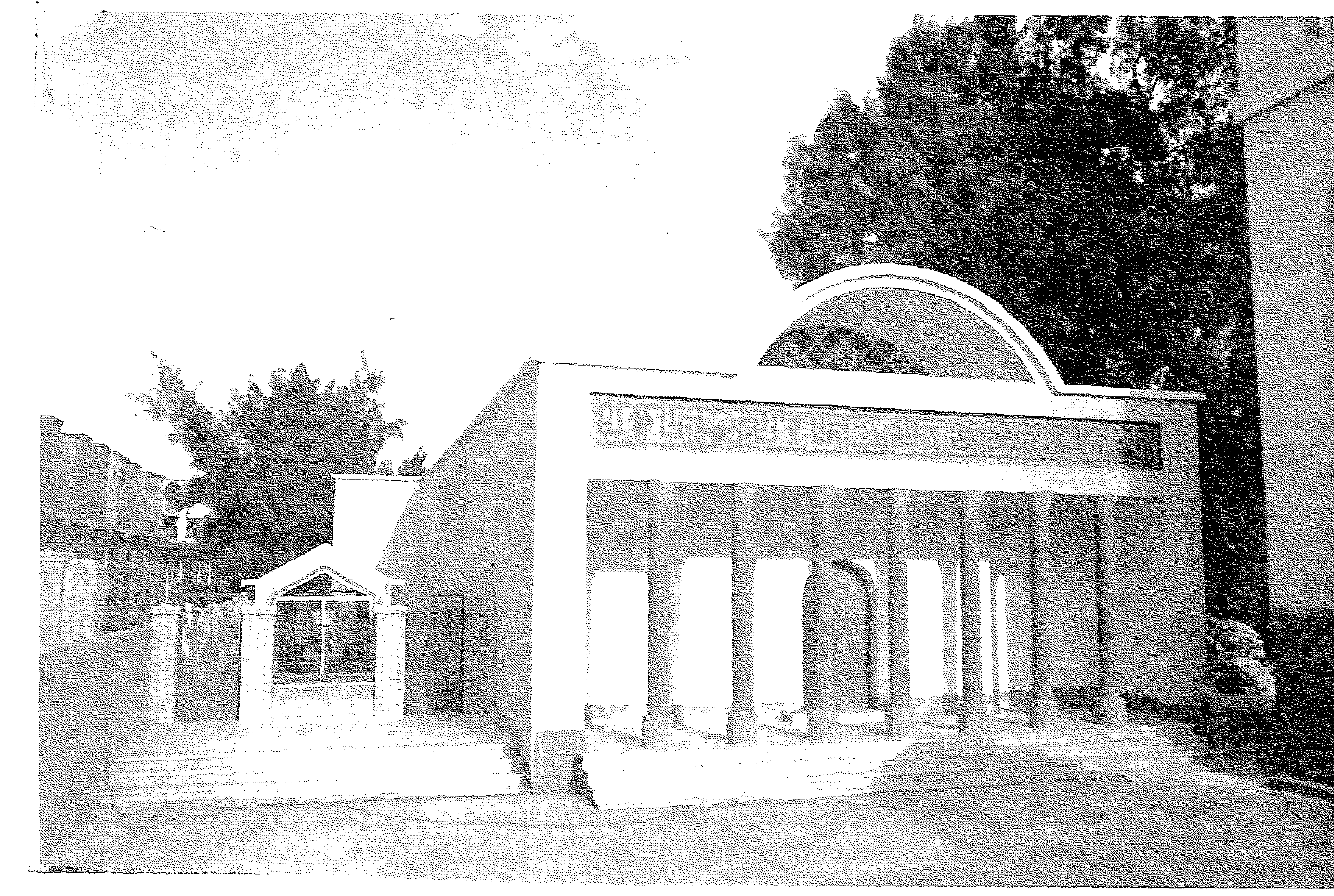
دار مجلة مرقس

القاهرة : ٥٠ «أ» شارع شبرا – ص. ب ٣١ شبرا – ت ٧٧٠٦١٤

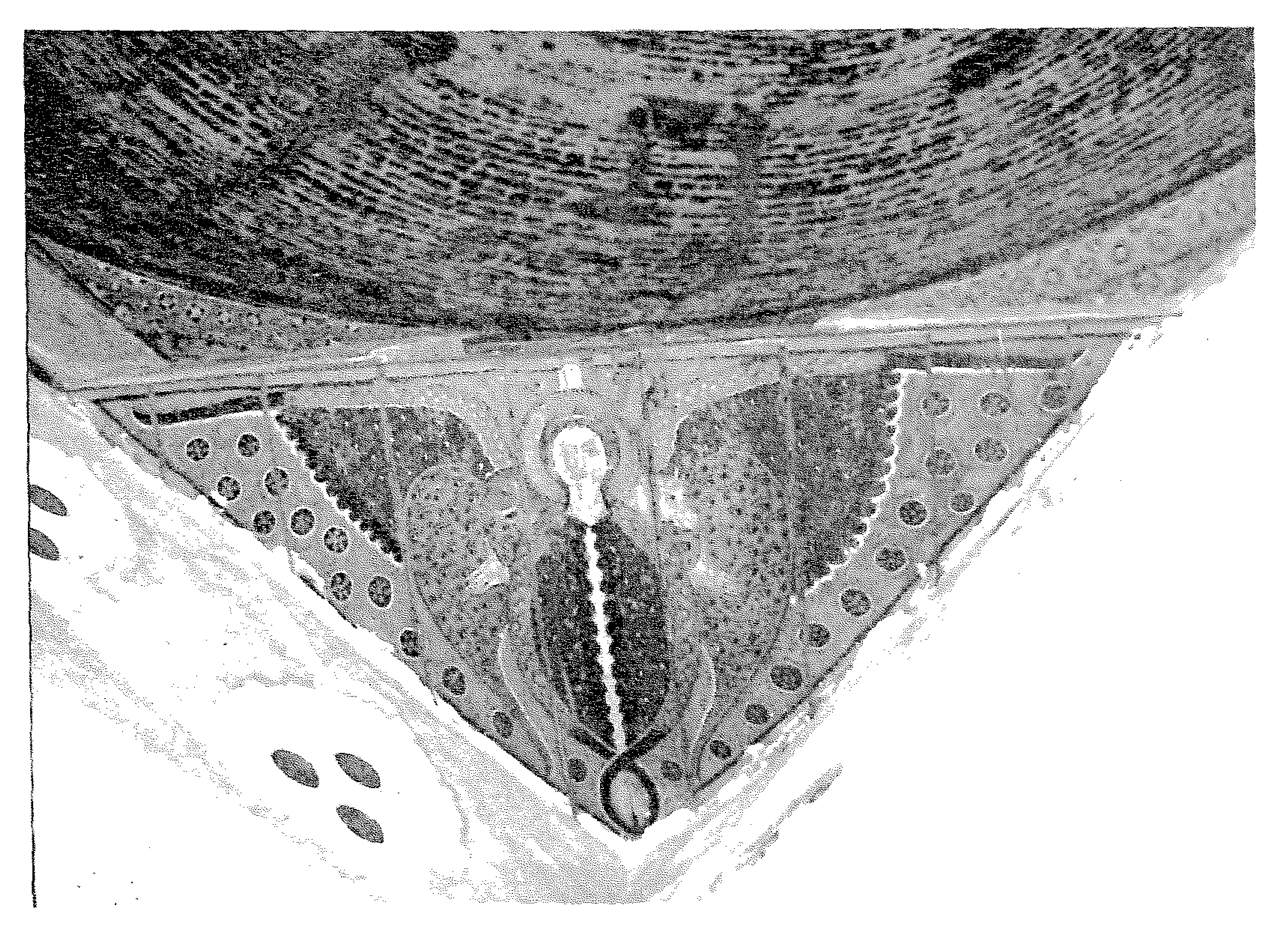
الإسكندرية : ١٣ ش الشهداء – المنشية – ت ٤٨٤٠١١٠



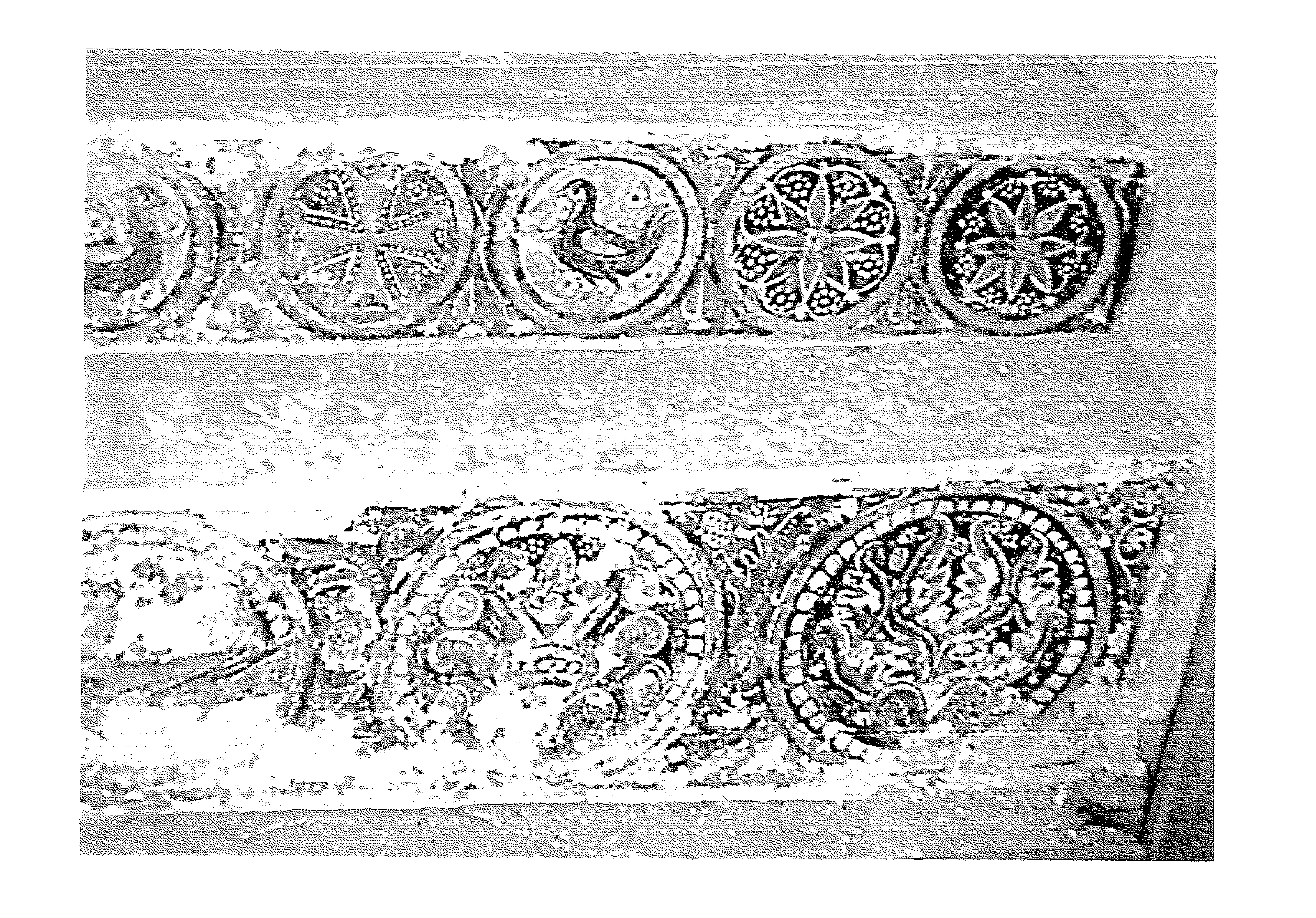
صورة الباب البحري العمومي
وعلى جانبيه مباني المضيفة



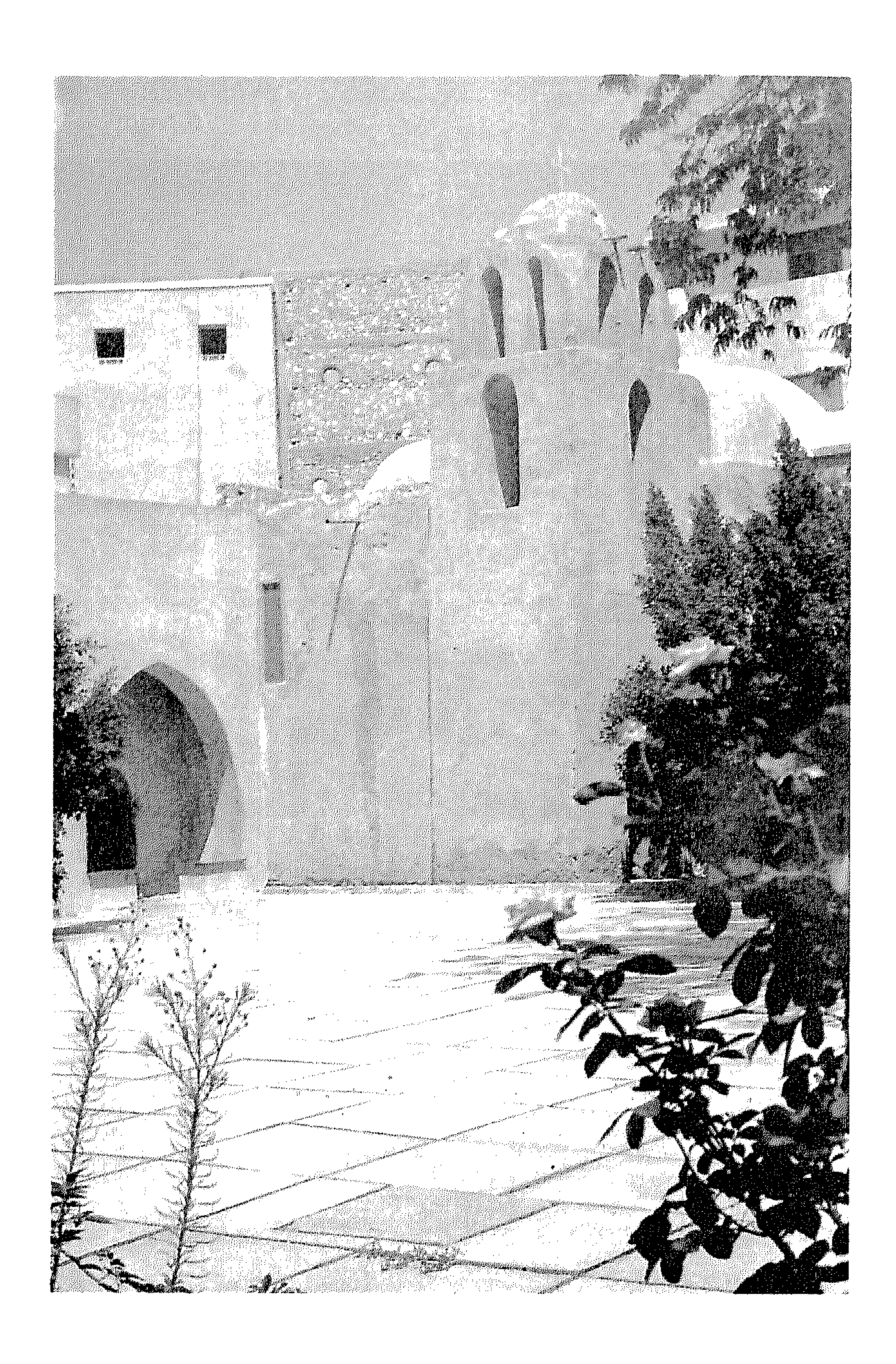
المكتبة وكنيسة السيدة العذراء والقديس بولس الجديدة
(التي ساهم في بنائها المتنيح الخواجا بولس باسيلي)



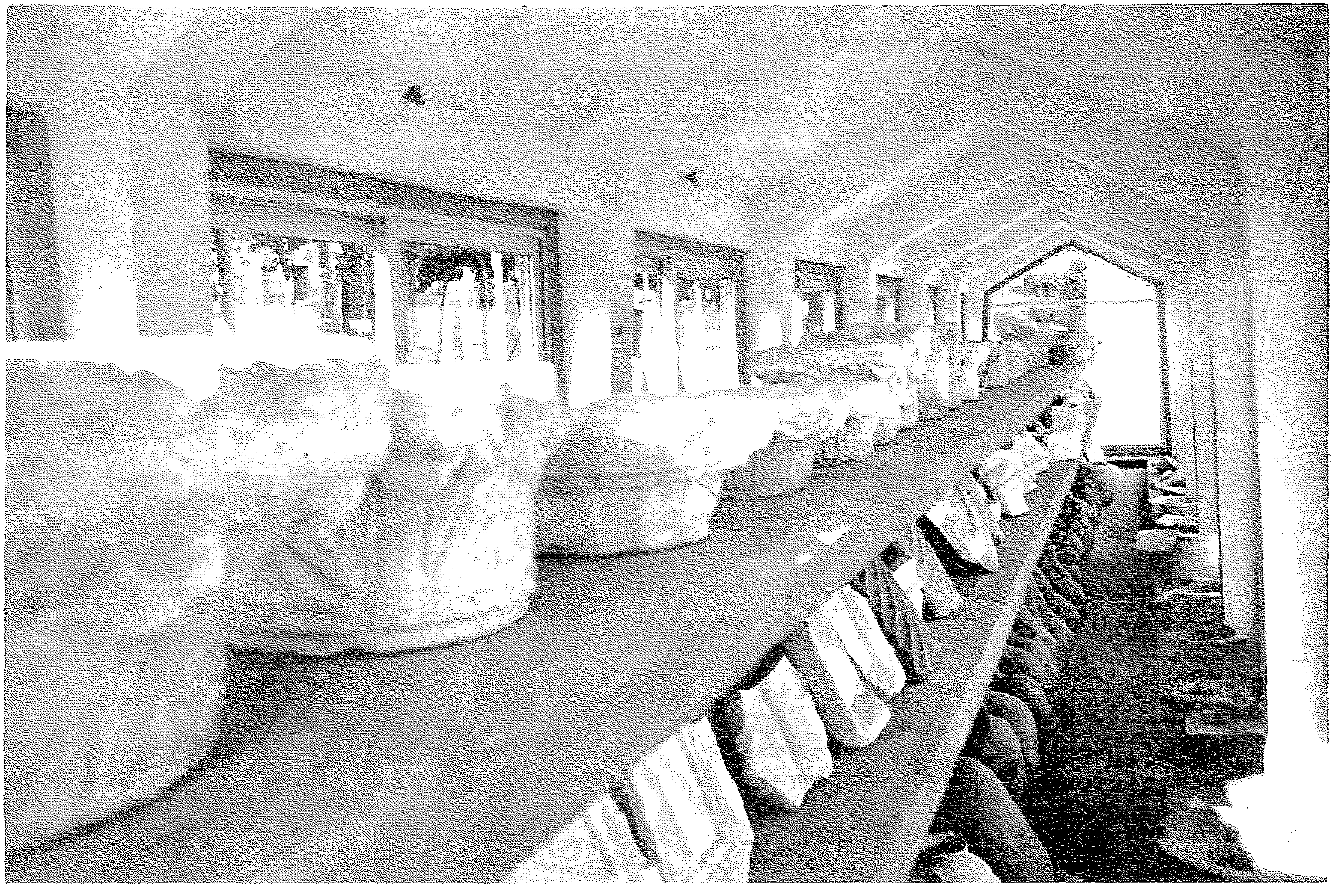
الشاروبيم: القوة الإلهية التي رافقت القديس أنبا مقار كل أيام حياته
(الركن الشرقي البحري لهيكل أنبا بنيامين في قاعدة القبة ــ كنيسة أنبا مقار)



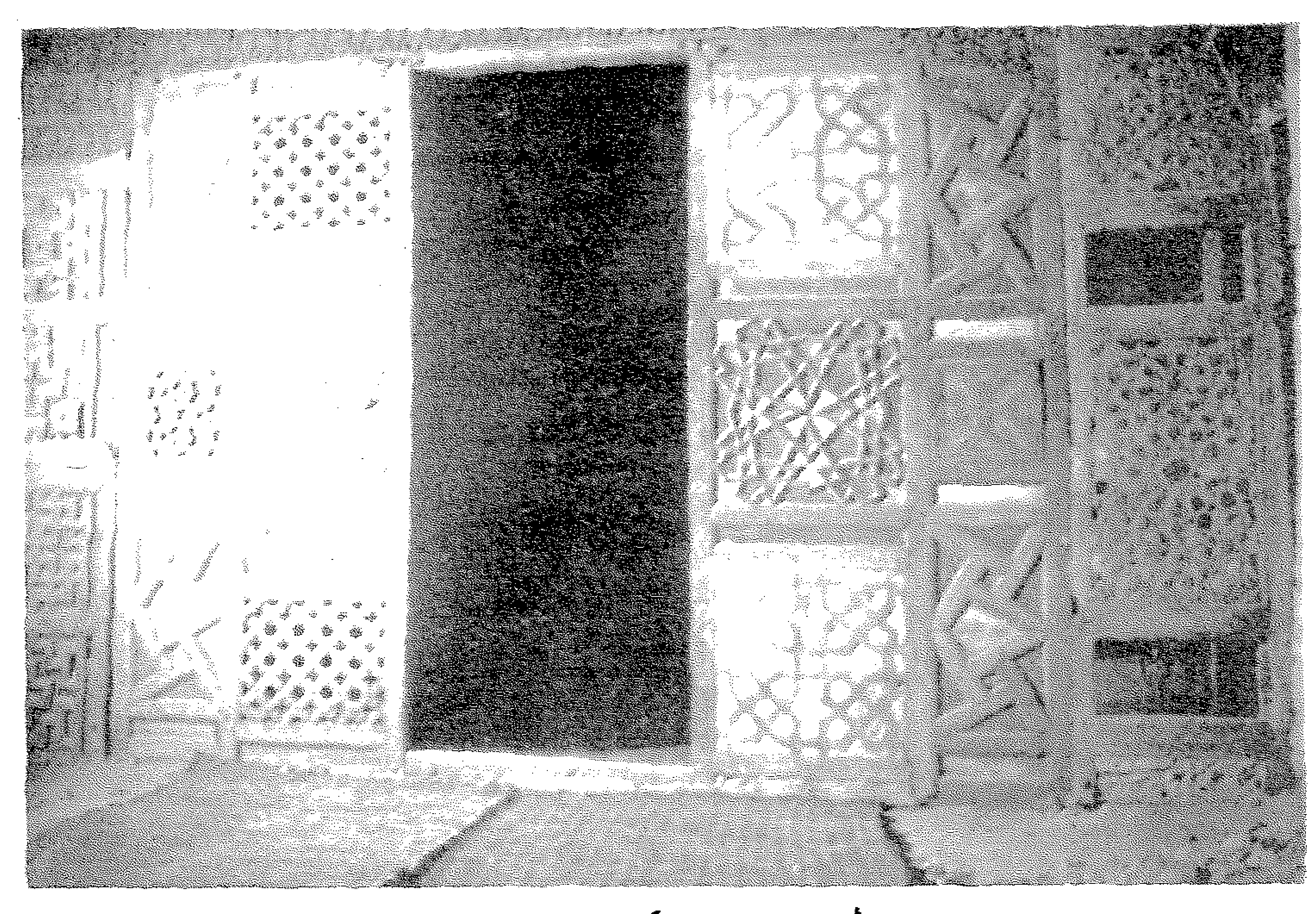
رسوم أثرية اكتشفت حديثاً في الجانب القبلي من هيكل أنبا مقار
(في أسفل الحائط الشرقي لهيكل الثلاث فتية)



كنيسة التسعة والأربعين شهيداً
(الواجهتان الشرقية والقبلية والمدخل)



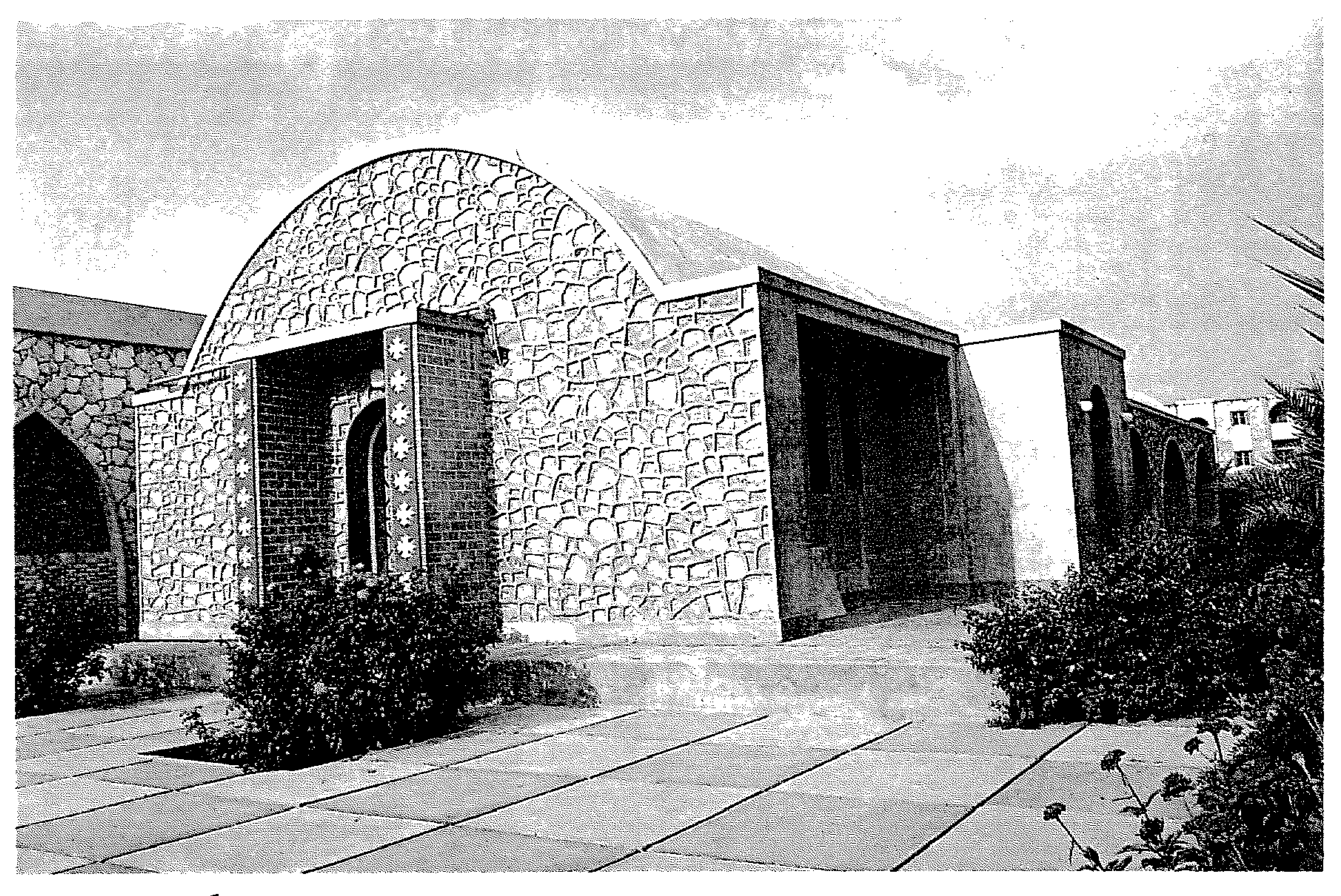
تيجان أعمدة من آثار صحن كنيسة أنبا مقار



بقايا أحجبة قديمة جداً، جُمعت بدون نظام،
لتكون حجاباً يحكي أمجاداً امحت. وهو داخل الحصن بالدور الأوسط.



بقايا لقّانات (أوعية طقس الصلاة على الماء)
وبقايا قوارير فخارية غاية في القدم.
موجودة داخل المتحف الصغير بحري المكتبة



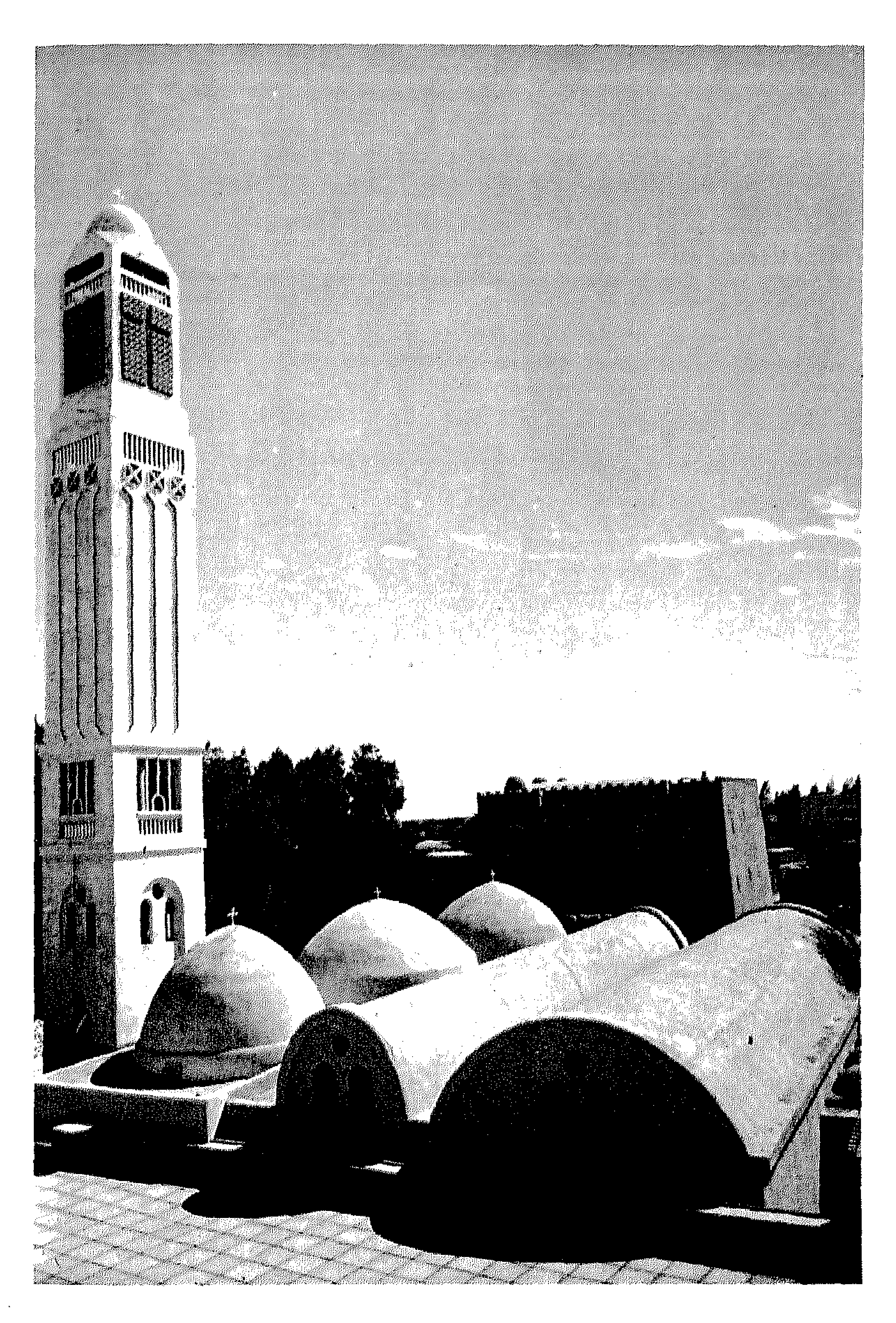
المائدة (الواجهة الشرقية)، حيث يجتمع الرهبان الساعة الثالثة بعد الظهر لتناول وجبة اليوم معاً.
حسب طقس الرهبان الأول



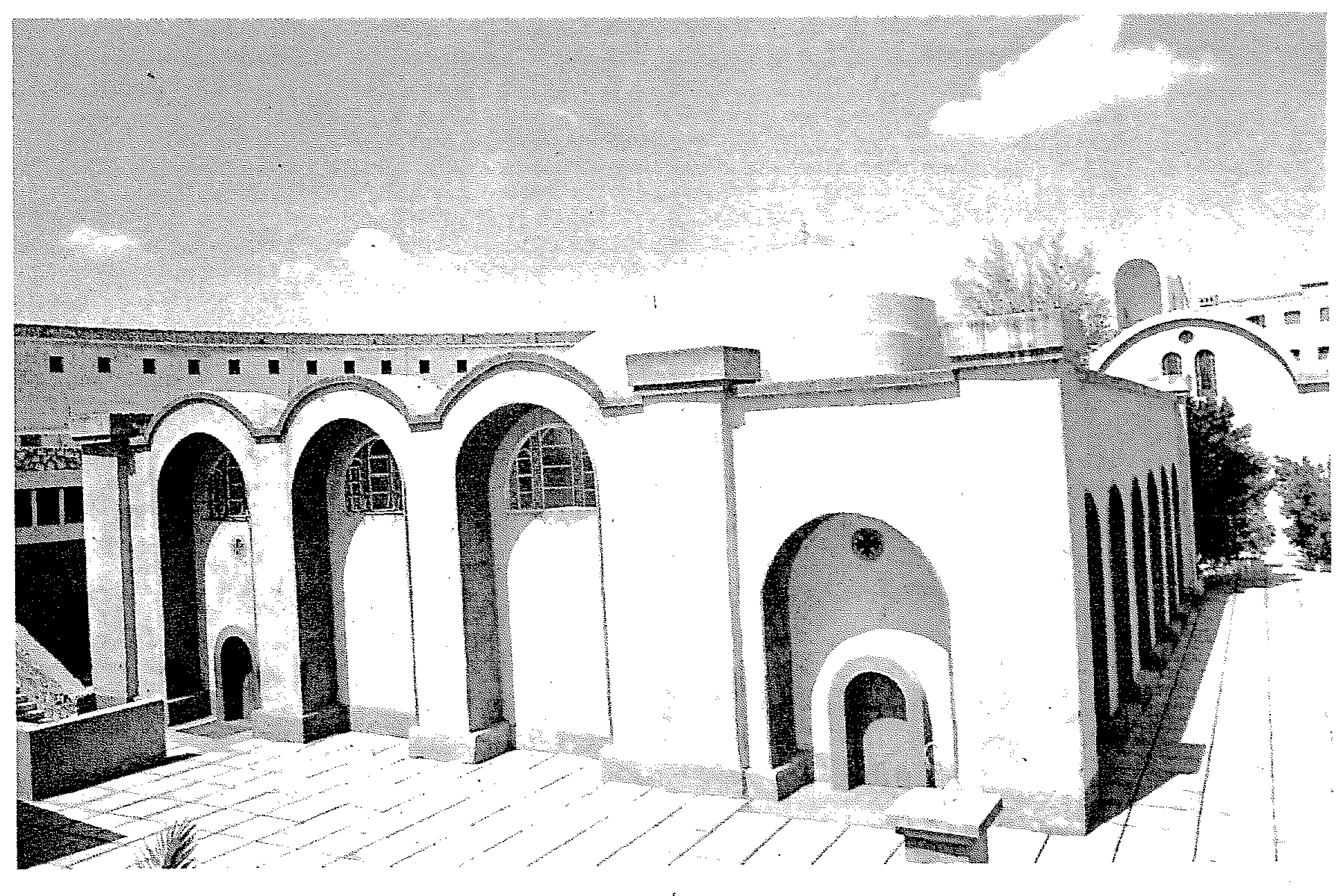
المذكورة في صفحة ٤٧



في الواجهة : كنيسة القديس أباسخيرون الشهيد.
عن اليمين : كنيسة التسعة والأربعين شهيداً.
عن اليسار: مدخل كنيسة أنبا مقار.



كنيسة أنبا مقار بقبابها الثلاث ، والمنارة الجديدة

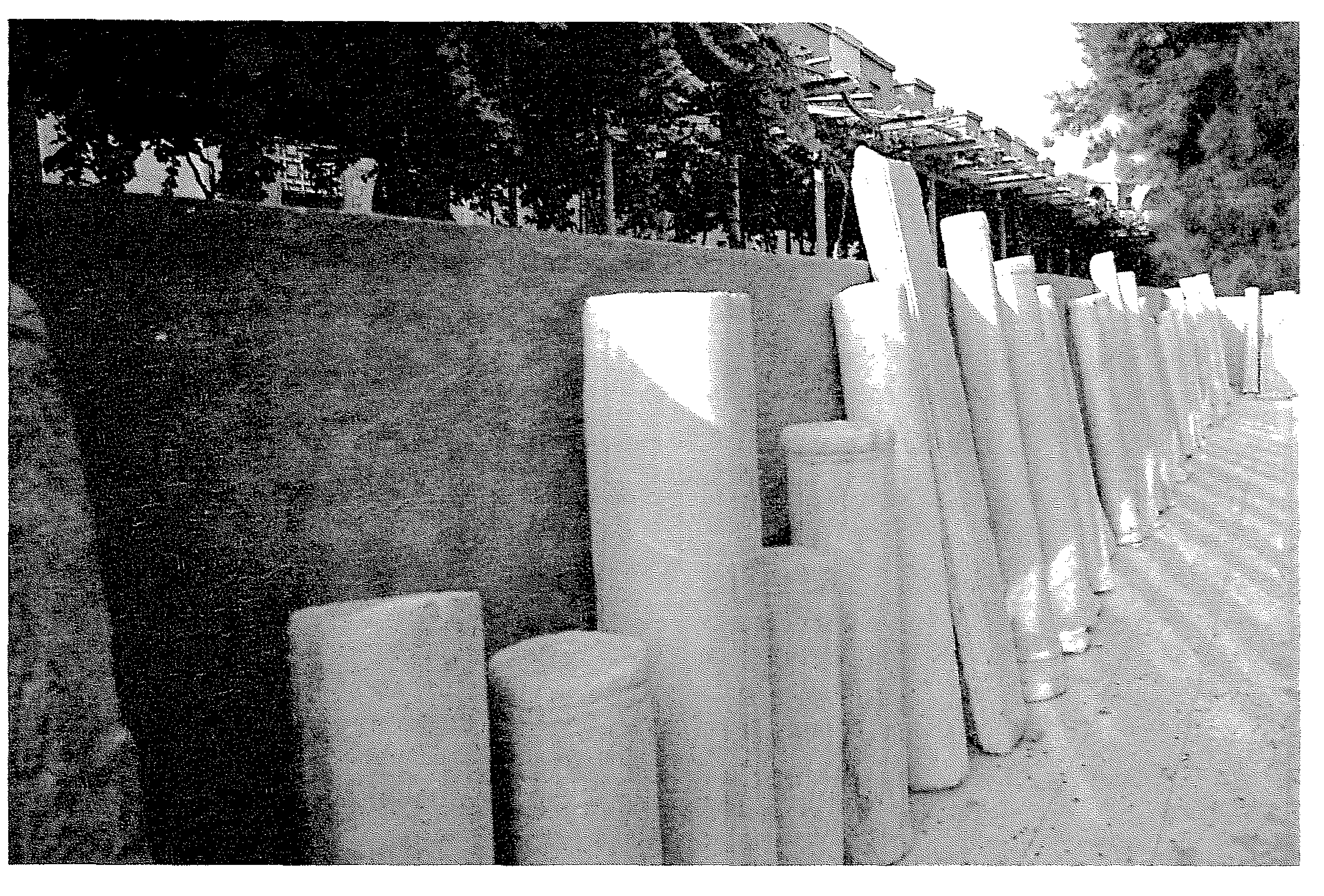


كنيسة الشهيد أبا سخيرون الجندي

(الواجهة القبلية)



الثلاثة مقارات القديسون
لوحة قديمة محفوظة بالدير



أعمدة رخامية وقواعد مربعة ولوحات مذبح وحامل شموع كانت مستعملة في هياكل الكنيسة الكبرى بالدير، تكشف عن مدى الهيبة والأبهة التي كانت عليها الكنيسة في القرنين الخامس والسادس.



الجوسق (أي الحصن)

.أو القسطلة= Castle

الذي كان يلتجىء إليه الرهبان الضعفاء خوفاً من البربر والإستشهاد


Bibliotheca Alexandrina
0308239

كنيسة القديس أنبا مقار الكبير

الطبعة الثانية سنة ١٩٩٦

(٦٧)